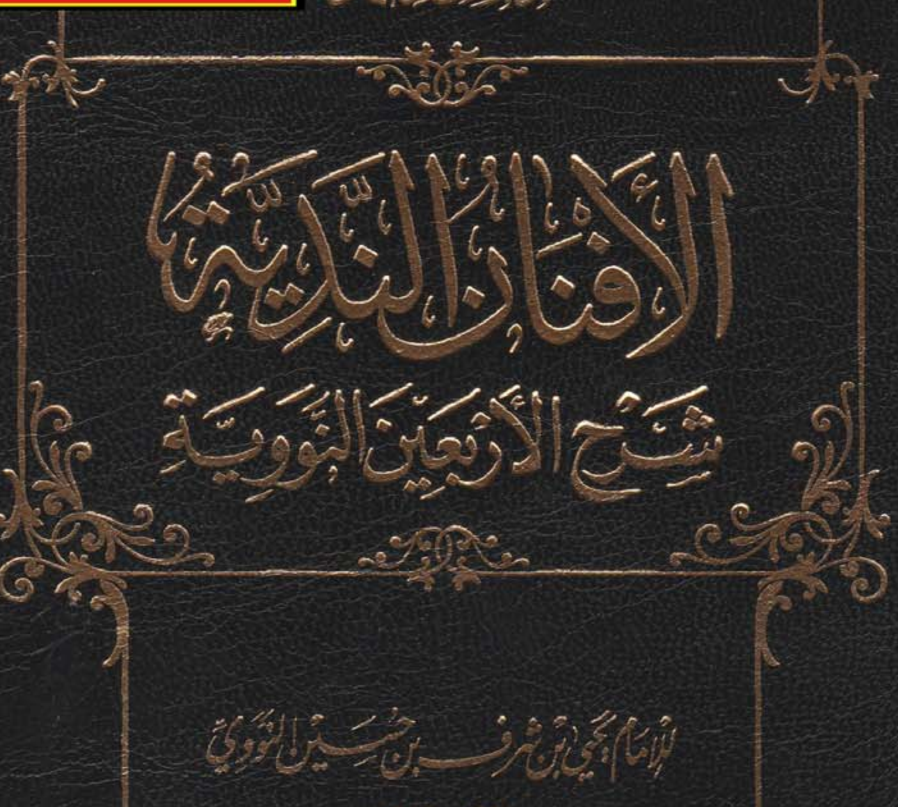


دار الإمام أحمد



الأفنان الندية

شرح الأربعين النووية

للإمام يحيى بن شرف بن حسين النووي
(٦٣١ - ٦٧٦هـ)

شرح
سليم بن عيد الهلالي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الأفنان الندية

شــــرح

الأربعين النووية

الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٣٥١٩ / ٢٠١١م

الترقيم الدولي : ٤- ٦٠- ٥٠٠٤- ٩٧٧- ٩٧٨



٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس : ٠٠٢٠٢/٢٦٣٦٥٦٣٨ جوال : ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

١١ (أ) درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

هاتف : ٠٠٢٠٢/٢٥١٠٢٣٩٧ جوال : ٠٠٢/٠١٠٥٢٦٤٠٢٠

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com
WWW. DarAlemamAhmad.Com



الأفنان الندية

شــرح

الأربعين النووية

بقلم

فضيلة الشيخ المحدث

أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي

كان الله له بمنه وكرمه

دار الإمام أحمد


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن «**الأربعين النووية**» كتاب طار ذكره في الآفاق؛ فأكبَّ الناس عليه، وصار مفزعهم إليه، واعتنىٰ بحفظه الطلاب، وشرحه كثير من أهل العلم السابقين وشاركهم في هذا الفضل قليل من اللاحقين.

وقد رغب كثير من إخواني في أقطار شتىٰ أن أضع لهم شرحًا وجيزًا يصلح أن يتعلمه الصغار، ويستفيد منه الكبار، يوصل إلىٰ المطلوب بأيسر طريق، ويحقق المرغوب بأوضح عبارة، فأجبتهم إلىٰ سؤلهم؛ فمثلهم لا يسعني مخالفتهم، ولا يمكنني معارضتهم.

فلم يبق من متع الدنيا إلا إخوان ناصحون: إن غبت حفظوك، وبالحق نصروك، وإن حضرت أعانوك علىٰ الخير؛ إن وجدوا خيرًا حمدوا الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وإن وجدوا خطأ صححوا، وإن وجدوا عيبًا نصحوا، وإن

صادفوا عورة لك ستروا، أما المتربصون؛ فإن رأوا هفوة صرخوا وصاحوا مثل أزب العقبة، نسأل الله حسن العقبىٰ.

ومن نافلة القول أن أنبه القارئ الكريم أنني استخلصت كثيرًا من هذا الشرح من كتابي الذي نفع الله به البلاد والعباد، وانتشر بفضل الله في أكثر بلاد الدنيا، وتُرجم إلىٰ لغات شتىٰ، وهو الموسوم: «**بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين**»، ثم عرجت إلىٰ شروح العلماء فاقتنصت منها فرائد، وغنمت منها فوائد، ونظمتها في هذا الشرح الوجيز دررًا؛ ينهل منها القارئ بِيُسر؛ فيفرح بذلك ويُسَرُّ، والله الموعد، وهو الهادي للحق.

وكتبه

أبو أسامة

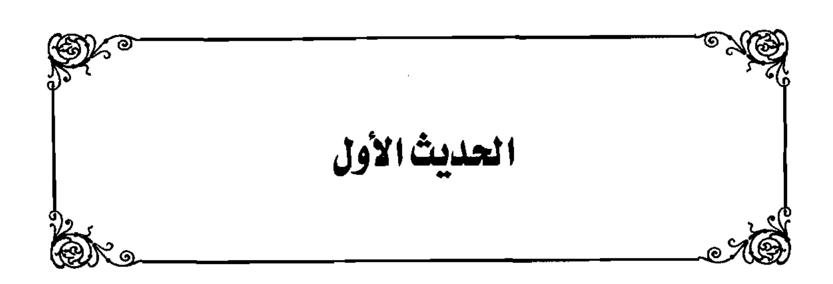
سليم بن عيد الهلالي

ضحىٰ يوم الإثنين منتصف ربيع الأول سنة ١٤٣١هـ

في مكتبتي العامرة بعلوم الكتاب والسنة

في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن من بلاد الشام المحروسة



الحديث الأول

عَنْ أميرِ المُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِه؛ فَهِجرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ ورَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا؛ فَهِجرَتُه إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيهِ**».

رواه إماما المحدثين:

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري.

وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري رضي الله عنهما في «صحيحيهما» اللذين هما أصح الكتب المصنفة.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

وقد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر هذا الحديث، وأنه ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع وأغنىٰ وأكثر فائدة منه؛ لأنه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

* **راوي الحديث:**

هو ثاني خلفاء المسلمين وأمير المؤمنين، أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزىٰ بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر العدوي القرشي ﷺ.

كان من أشراف قريش يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي.

أسلم بمكة في السنة الخامسة من البعثة -وقيل: السادسة-، ولازم رسول الله ﷺ سفرًا وحضرًا، وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق ﷺ، فكانا وزيري صدق للرسول ﷺ.

وكان يقول فيهما: «**هذان السمع والبصر**»، وشهد المشاهد كلها إلا سفر الهجرة، وولي الخلافة بعد الصديق ﷺ بعهد منه؛ فقام بها خير قيام بعده.

واتفقوا علىٰ تسميته بالفاروق؛ لفرقانه بين الحق والباطل بإسلامه، حيث كان إسلامه عزًّا أظهر الله به الإسلام.

ففي «صحيح البخاري» (٣٦٨٤ و٣٨٦٣) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر».

وله فضائل جمة: أعلاها وأغلاها وأفضلها: أن رسول الله ﷺ بشَّره بالجنة.

واستشهد ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ فجرًا؛ حيث طعنه أبو لؤلؤة المجوسي -لعنه الله- وهو يصلي، وقد كبَّر لصلاة الفجر، لأربع بقين من ذي

الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

ودفن مع صاحبيه: النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة رضي الله عنها، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأيامًا.

*** غريب الحديث:**

الحفص: الأسد يكنىٰ أبا حفص، ويسمىٰ شبله: حفصًا، وبها كني أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

النية: قصد الشيء مقترنًا بفعله.

الهجرة: الترك لغةً، وفي الشرع: ترك ما نهىٰ الله عنه.

وقد وقعت في الإسلام علىٰ وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلىٰ دار الأمن؛ كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة إلىٰ المدينة النبوية.

الثاني: الانتقال من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام؛ كما كان بعد أن استقر الرسول ﷺ بالمدينة.

يصيبها: يحصلها.

*** موضوع الحديث:**

بيان منزلة النية من الأعمال.

*** الشرح الإجمالي:**

في هذا الحديث الجامع: يبين رسول الله ﷺ منزلة النية من الأعمال،

وأنها شاملة لها لا يتخلف شيء عنها، ولا يخلو منها؛ فمدارها علىٰ النية صحة وفسادًا، وثوابًا وعقابًا.

وهذا ترغيب من النبي ﷺ للعبد في السمو بنيته؛ فلا يبتغي غير وجه الله والدار الآخرة، ويتجنب القصد الدون والمراتب الحقيرة.

ثم ضرب رسول الله ﷺ مثالًا بالهجرة؛ لأهميتها، ولتقاس عليها بقية الأعمال.

فالمهاجرون يتركون بلادهم وأموالهم وأهليهم، وينتقلون إلىٰ ديار الإسلام أو بلاد الأمن، ولكن نياتهم شتىٰ ومقاصدهم مختلفة، ولذلك تتفاوت أجورهم وتتفاضل منازلهم؛ فمن هاجر إلىٰ الله ورسوله ﷺ بلغ أجلَّ الغايات وأدرك أعلىٰ الدرجات، ومن جعل هجرته للدنيا وشهواتها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه، وليس له في الآخرة من نصيب.

*** فقه الحديث:**

١- الرد علىٰ من يحوِّل خطبة الجمعة -أو الخطب الجوامع- إلىٰ حالة طوارئ ونشر أخبار سياسية حماسية؛ فإن رسول الله ﷺ خطب بهذا الحديث علىٰ المنبر، وكذلك فعل عمر؛ كما عند البخاري؛ فدل علىٰ أن الخطب ينبغي أن تكون فيما ينفع الناس في آخرتهم، وما يسعدهم ويعلمهم في دنياهم.

٢- لابد من النية في الأعمال سواء أكانت مقصودة لذاتها كالصلاة -مثلًا- أو وسيلة لغيرها كالطهارة؛ وذلك لأن الإخلاص لا يتصور وجوده دون نية.

ولا أعلم بين أهل العلم خلافًا في ذلك إلا في الوسائل، وأما المقاصد فكلمتهم فيها سواء.

وحصل خلاف في اقتران النية بأول العمل.

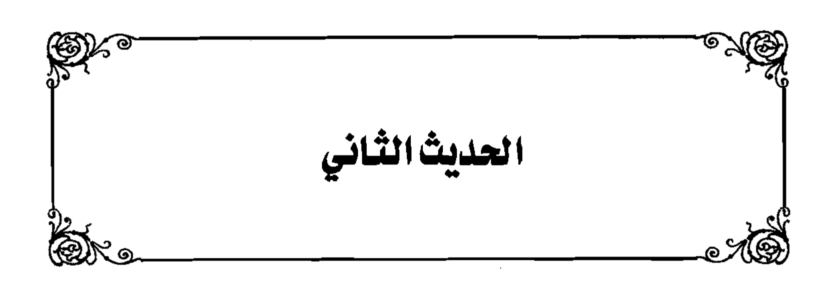
٣- النية محلها القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات: الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك، والتلفظ بها بدعة ضلالة، وقد وهم من زعم: أن ذلك جائز في الحج دون غيره؛ لأنه لم يفرق بين التلبية والنية.

وقد بسط أحكامها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة مفردة، ولي رسالة مبسوطة في ذلك هي «الدرر المضية في أحكام الإخلاص والنية».

٤- الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة، والنية الحسنة لا تجعل المنكر معروفًا والبدعة سنة، فكم من مريد للخير لن يبلغه.

٥- الإخلاص لله شرط في قبول العمل، فإن الله لا يقبل من العمل إلا أخلصه وأصوبه؛ أما أخلصه فما كان لله، وأما أصوبه فما كان وفق السنة الصحيحة.





الحديث الثاني

عَنْ عُمَرَ ﷺ -أيضًا- قَالَ: «بَينَمَا نَحنُ جُلوسٌ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَومٍ؛ إذْ طَلَعَ علَينَا رَجُلٌ شَديدُ بَيَاضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيهِ أثَرُ السَّفَرِ وَلَا يعرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّىٰ جَلسَ إلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، فَأسْنَدَ رُكبتَيهِ إلَىٰ رُكْبَتَيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ.

وَقَالَ: يَا مُحمَّدُ أخبِرنِي عَنِ الإسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رمَضَانَ، وتَحُجَّ البَيتَ إنِ استَطَعتَ إلَيهِ سَبيلًا**».

قَالَ: صَدقْتَ.

قَالَ: فَعَجِبنَا لَهُ يَسْألُهُ وَيُصَدِّقُهُ!

قَالَ: فَأخبِرْنِي عَنِ الإيمَانِ؟

قَالَ: «**أَنْ تُؤمِنَ بِاللهِ ومَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ورُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأخبِرْنِي عَنِ الإِحِسَانِ؟

قَالَ: «**أنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ؛ فَإنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟

قَالَ: «**مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأخبِرنِي عَن أمَارَاتِهَا؟

قَالَ: «**أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَهَا، وَأنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلونَ فِي البُنْيَانِ**».

ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثْنَا مَليًّا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، أتَدرِي مَنِ السَّائِلُ؟**».

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُه أعْلَمُ.

قَالَ: «**فَإنَّهُ جِبْرِيلُ أتَاكُم يُعَلِّمكُم دِينكُم**».

رواه مسلم.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٨).

وهو من أفراده دون البخاري.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وهو حديث عظيم الشأن، يشتمل علىٰ شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ﷺ: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»، بعد أن

شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله دينًا»[١].

قال مقيده أبو أسامة الهلالي -كان الله له-:

وله مقدمة لطيفة يحسن معرفتها:

عن يحيىٰ بن يعمر؛ قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبدٌ الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين -أو معتمرين-: فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوافق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله.

فظننت أن صاحبي سيكِلُ الكلام إليَّ، فقلتُ: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبلَنا ناسٌ يقرءون القرآن، ويتفقرون العلم -وذكر من شأنهم -وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأنَّ الأمر أُنُف.

قال: إذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر؛ لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه؛ ما قبله الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدَّثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ...» فذكر الحديث بطوله.

---

(١) وأصل هذه الكلمة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عمر بن الخطاب ﷺ في الحديث الأول.

وأما عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: فهو أبو عبد الرحمن، أحد كبار الصحابة الكرام علمًا ودينًا، شهد الخندق وما بعدها من المشاهد، وهو من أهل بيعة الرضوان، أثنى عليه النبي ﷺ ووصفه بالصلاح، وهو من أكثر الصحابة حديثًا، وكان ضابطًا له لا يزيد ولا ينقص.

وله فضائل شهيرة ومناقب كثيرة، وكان ﷺ متبعًا لآثار النبي ﷺ سفرًا وحضرًا يسأل عما غاب عنه من قول أو فعل من حضره، وكان شديد التحري والاحتياط في فتواه وكل ما يفعله ويباشره بنفسه.

توفي في مكة سنة ثلاث وسبعين، وقيل: أربع وسبعين.

*** موضوع الحديث:**

تعليم جبريل عليه السلام الصحابة رضي الله عنهم الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة بطريقة السؤال والجواب.

*** غريب الحديث:**

ذات يوم: أي في يوم من الأيام.

طلع علينا: ظهر علينا.

رجل: هو جبريل عليه السلام أتى إلى النبي ﷺ بصورة رجل لا يعرفونه.

شديد بياض الثياب: عليه ثياب رجل عادي.

شديد سواد الشعر: أي أنه شاب.

لا يرىٰ عليه أثر السفر: لا يرىٰ عليه علامة السفر ووعثاؤه وهيئته؛ فثيابه بيضاء وشعره أسود.

لا يعرفه منا أحد: ليس من أهل المدينة النبوية؛ فهو غريب.

جلس إلىٰ النبي ﷺ: كان جلوسه ملاصقًا للنبي ﷺ.

أسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه: أي كان جلوسه مقابلًا للنبي ﷺ وجهًا لوجه.

ووضع يديه علىٰ فخذيه: أي وضع هذا الرجل كفيه علىٰ فخذي رسول الله ﷺ؛ كما جاء صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مقرونًا مع أبي ذر رضي الله عنه عند النسائي (٨/ ١٠١) بإسناد صحيح، وفيه: «حتىٰ وضع يده علىٰ ركبتي رسول الله ﷺ».

وقال: يا محمد: ليوهم أنه أعرابي؛ لأن الأعراب ينادون النبي ﷺ باسمه.

أخبرني عن الإسلام: أي ما هو الإسلام؟

أن تشهد: أن تقر وتعترف بلسانك وقلبك فلا يكفي اللسان.

فعجبنا له؛ يسأله ويصدقه: أصابنا العجب من حاله؛ فهو يسأل سؤال العارف المصدق.

أماراتها: علاماتها وأشراطها.

الحفاة: جمع حافٍ؛ وهو: من لا نعل له في رجليه.

العراة: جمع عارٍ؛ وهو: من لا ثياب علىٰ جسده.

العالة: جمع عائل؛ وهو: الفقير.

رعاء الشاء: جمع راعٍ، وهو: الحافظ، والشاء: جمع شاة، وهي واحدة الضأن.

أن تلد الأمة ربتها: إخبار عن كثرة السراري وأولادهن أو انتشار عقوق الوالدين.

*** الشرح الإجمالي:**

في ذات يوم جلس الصحابة ﷺ حول رسول الله ﷺ ليعلمهم، فظهر رجل شاب غريب فعمد إلىٰ رسول الله ﷺ وجلس مقابلة له، وجعل يسأل رسول الله ﷺ أسئلة العارف المصدق.

سأله عن الإسلام، وعن الإيمان، وعن الإحسان، وعن الساعة وأشراطها، وهو في كل ذلك يقول لرسول الله ﷺ: صدقت.

ثم ذهب الرجل تاركًا المجلس، وبعد فترة قال رسول الله ﷺ لعمر: «**أتدري من السائل؟**». فلم يعرفه عمر، بل أسند علم ذلك إلىٰ الله ورسوله، فأخبره رسول الله ﷺ أن السائل هو جبريل الأمين جاء علىٰ هيئة رجل ليعلم المسلمين دينهم.

*** فقه الحديث:**

١- بيان فضل مجالس العلم؛ فإنها رياض الجنة حيث يذكر فيها الله، ويتعلم الكتاب والسنة وهدي السلف.

٢- العلم يؤتىٰ، وأهل العلم يرحل إليهم لطلب العلم عليهم.

٣- استحباب السؤال في العلم، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

٤- أهمية السؤال عن العلم النافع في الدنيا والآخرة، وترك السؤال عما لا فائدة فيه.

٥- وينبغي للسائل حسن الأدب بين يدي معلمه، وأن يرفق في سؤاله، ولذلك قالوا: الأدب قبل الطلب.

٦- استحباب الدنو من العالم والقرب منه.

٧- حسن السؤال من أسباب تحصيل العلم.

قيل لابن عباس ﷺ: «بم بلغت العلم؟ قال: بلسان سَئول، وقلب عَقول».

وقال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم خزانة مفتاحها السؤال».

٨- بيان أركان الإسلام، وأهميتها؛ وهي: الشهادتان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.

٩- بيان أركان الإيمان، ووجوب الإيمان بها، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره.

١٠- وجوب مراقبة الله في السر والعلن.

١١- الرسول ﷺ لا يعلم الغيب.

١٢- العالم إذا سئل عن شيء لا يعلمه ينبغي أن يقول: لا أعلم.

١٣- للساعة علامات تدل علىٰ قربها، وأشراط تعرف بها.

١٤- ذم تشييد المباني علىٰ وجه المباهاة والتفاخر.

١٥- فساد الزمان بين يدي الساعة، حيث تضعف الأخلاق، ويكثر عقوق الوالدين، وتنعكس الأمور، وتختلط حتىٰ يصبح أسافل الناس ملوكَ الأمة ورؤساءها وقادتها، وتسند أزمَّة الأمور لغير أهلها.

١٦- قدرة الملائكة علىٰ التمثل بصورة البشر.

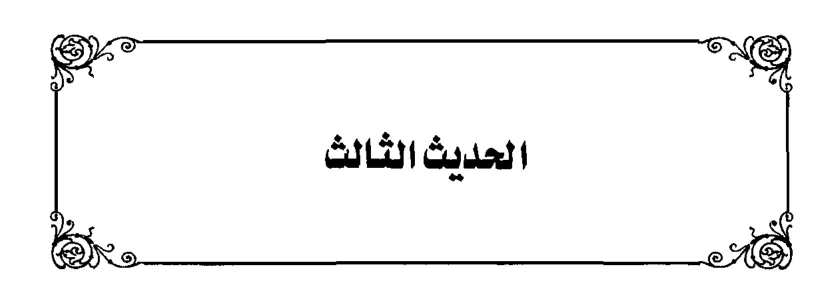
١٧- ليس للإمام أو نوابه، ولا للعالم أو طلابه أن يحتجبوا دون حاجات الناس ومصالحهم.

١٨- هذا الحديث أم السُّنة؛ لأنه تضمن جملًا عديدة ومفيدة من السنة؛ قاله القرطبي.

١٩- الوصية بطلاب العلم.

٢٠- اختيار الشيوخ الثقات لأخذ العلم عنهم، والاقتداء بهديهم وسمتهم.





الحديث الثالث

عَنْ أَبِي عَبدِ الرَّحمَن عَبدِ اللهِ بنِ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «بُنيَ الإسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإقَامِ الصَّلاةِ؛ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». رواه البخاري ومسلم.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١/ ٤٩-فتح)، ومسلم (١٦).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في الحديث الثاني.

*** موضوع الحديث:**

مباني الإسلام وأركانه.

*** غريب الحديث:**

علىٰ خمس: علىٰ خمسة أركان أو خمس دعائم.

*** الشرح الإجمالي:**

بيَّن رسول الله ﷺ: أن الإسلام بناء يُظلِّل صاحبه ويحميه، وأنه يقوم علىٰ

خمس دعائم وأركان، ولا يثبت البنيان بدونها.

وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

*** فقه الحديث:**

١- الإسلام مبني علىٰ هذه الأركان، فهي كالدعائم لبنيانه؛ فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء؛ نقص البنيان وهو قائم؛ لا ينقض بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعها بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين.

٢- المراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله؛ كما في رواية عند البخاري تعليقًا، وبهذا يعلم أن الإيمان بالله ورسوله داخل ضمن الإسلام.

٣- وأما إقام الصلاة؛ فقد جعلها رسول الله ﷺ عمود الإسلام؛ كما في حديث معاذ الصحيح بشواهده: «**رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة**»؛ فلا يقوم البنيان إلا بعموده، ولا يثبت إلا بعماده، ولو سقط العمود؛ لسقط البنيان ولم يثبت بدونه.

هذه الدعائم الخمس بعضها مرتبط ببعض، وقد روي أنه لا يقبل بعضها بدون بعض، ونفي القبول هنا لا يراد به نفي الصحة، ولا وجوب الإعادة بتركه، وإنما يراد بذلك انتفاء الرضا به، ومدح عامله، والثناء بذلك عليه في الملأ الأعلىٰ، والمباهاة به للملائكة.

فمن قام بهذه الأركان على وجهها؛ حصل له القبول بهذا المعنى، ومن أتى ببعضها دون بعض؛ لم يحصل له ذلك، وإن كان لا يعاقب على ما أتى به منها عقوبة تاركه، بل تبرأ به ذمته، وقد يثاب عليه أيضًا.

ومن هنا يعلم أن ارتكاب بعض المحرمات التي ينقص بها الإيمان تكون مانعة من قبول بعض الطاعات، ولو كان من بعض أركان الإسلام بهذا المعنى الذي ذكرناه؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا**».

وقوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**».

٤- وحديث ابن عمر يستدل به على أن الاسم إذا شمل أشياء متعددة لم يَزُل الاسم بزوال بعضها؛ فيبطل بذلك قول من قال: إن الإيمان لو دخلت فيه الأعمال؛ للزم أن يزول بزوال عمل مما دخل في مسماه، فإن النبي ﷺ جعل هذه الخمس دعائم الإسلام ومبانيه، وفسر بها الإسلام في حديث جبريل، ومع هذا؛ فالمخالفون في الإيمان، يقولون: لو زال من الإسلام خصلة واحدة أو أربع خصال سوى الشهادتين لم يخرج بذلك من الإسلام.

وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب، فاسم الشجرة يشتمل على ذلك كله، ولو زال شيء من شعبها وفروعها لم يَزُل عنها اسم الشجرة، وإنما يقال: هي شجرة ناقصة، وغيرها أتم منها.

وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[إبراهيم: ٢٤].

والمراد بالكلمة: كلمة التوحيد، وبأصلها: التوحيد الثابت في القلوب، وأُكلها: هو الأعمال الصالحة الناشئة منها.

وضرب النبي ﷺ مثل المؤمن والمسلم بالنخلة، ولو زال شيء من فروع النخلة ومن ثمرها؛ لم يزل بذلك عنها اسم النخلة بالكلية، وإن كانت ناقصة الفروع أو الثمر.

٥- ولم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر هذا، مع أن الجهاد من أفضل الأعمال.

وفي رواية: أن ابن عمر قيل له: فالجهاد؟ قال: الجهاد حسن، ولكن هكذا حدثنا رسول الله ﷺ.

وفي حديث معاذ بن جبل: «**إن رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد**».

وذروة سنامه: أعلىٰ شيء فيه، ولكنه ليس من دعائمه وأركانه التي بُني عليها، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن الجهاد فرض كفاية عند جمهور العلماء، ليس بفرض عين؛ بخلاف هذه الأركان.

والثاني: أن الجهاد لا يستمر فعله إلىٰ آخر الدهر، بل إذا نزل عيسىٰ عليه السلام

ولم يبق حينئذ ملة إلا ملة الإسلام؛ فحينئذ تضع الحرب أوزارها، ويُستغنىٰ عن الجهاد؛ بخلاف هذه الأركان، فإنها واجبة علىٰ المؤمنين إلىٰ أن يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك.

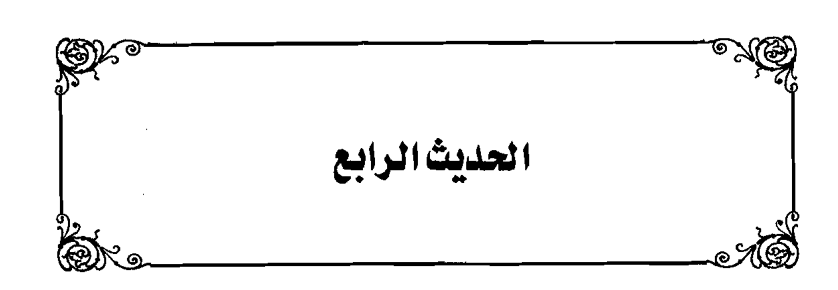
والله تبارك وتعالى أعلم.

سؤال: فإن قيل: ما فائدة ذكر هذا الحديث مرة أخرىٰ مع أنه مذكور في سياق حديث جبريل عليه السلام؟

الجواب: لبيان أهمية الموضوع أراد الإمام النووي تأكيده مرة أخرىٰ.

وكذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنهما التصريح بأن هذه أركان الإسلام الخمس التي بُني عليها، أما حديث جبريل عليه السلام فليس صريحًا في ذلك، وإن كان ظاهره يدل عليه؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...**» الحديث.





الحديث الرابع

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ-: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطفَة، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلهَ غَيْرُهُ! إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا.

وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (٦/ ٣٠٣-فتح)، ومسلم (٢٦٤٣).

*** راوي الحديث:**

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، حليف

لبني زهرة، أحد السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، وصلىٰ إلىٰ القبلتين، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، لازم النبيﷺ، وكان صاحب نعليه والسواك، والوساد.

وهو من السابقين وأحد سادات الصحابة وكبرائهم وعلمائهم، أخذ سبعين سورة من فيِّ رسول الله ﷺ، وكان ممن جمع القرآن، وفضائله كثيرة لا تُعد، ومناقبه وفيرة لا تحد، ومواقفه الثابتة علىٰ الحق لا تحصر، وأخباره تسر، توفي في المدينة النبوية سنة اثنتين وثلاثين.

*** غريب الحديث:**

يجمع: يقدر ويمكث.

خلقه: مادة خلقه، أو ما يخلق منه.

بطن: الرحم.

نطفة: هي الحيوان المنوي الذي يكون منه تكوُّن الإنسان، وسميت: نطفة؛ لأنها من الماء الذي ينطف؛ أي: يسيل.

يكون: يصير.

علقة: دم جامد؛ لأنها إذ ذاك تعلق بالرحم.

مضغة: قطعة من اللحم قدر ما يمضغ.

رزقه: ما ينتفع به في حياته.

أجله: مدة عمره.

عمله: ما يكون منه من عمل صالح وضده.

شقي أو سعيد: أهو من أهل النجاة والسعادة أو من أهل الشقاء.

الكتاب: ما كتب عليه مما علم أنه سيكون من حاله.

*** موضوع الحديث:**

مراحل خلق الإنسان في الأرحام.

*** الشرح الإجمالي:**

هذا الحديث فيه بيان تطور خلق الإنسان في بطن أمه وكتابة أجله ورزقه وخاتمته.

والذي أخبر بذلك هو رسول الله ﷺ الصادق في قوله، المصدوق فيما أوحي إليه.

وقد وصف عبد الله بن مسعود ﷺ رسول الله ﷺ بذلك؛ لأن هذه الأمور المذكورة في هذا الحديث من أمور الغيب التي لا تُعلم إلا بالوحي الأمين.

*** فقه الحديث:**

١- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله ﷻ.

٢- الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة والاستمرار بها والمداومة عليها.

٣- أن العبرة بالخاتمة؛ فلا يغتر إنسان بعمل قدَّمه، ثم يركن إليه، فلا ينشط لغيره؛ فالأقدار غالبة، والعافية غائبة.

٤- أن من قام بعمل صالح ينبغي أن يحافظ على نقائه، فلا يحبطه.

٥- الاستعانة بالله تعالىٰ وسؤاله حسن الخاتمة، والخوف من سوء الخاتمة والاستعاذة بالله.

٦- جواز القسم علىٰ الخبر الصادق تأكيدًا في نفس السامع، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**فوالذي نفسي بيده...**».

٧- فيه التنبيه علىٰ صدق البعث والجزاء، فمن قَدِر علىٰ خلق الإنسان من ماء مهين قادر علىٰ إعادة الروح إليه بعد أن يصير ترابًا.

٨- فيه حض علىٰ القناعة، والزجر الشديد الأكيد عن الحرص؛ لأن الرزق سبق تقديره، فلم يُغنِ التعني في طلبه، وإنما شُرع الاكتساب؛ لأنه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة الإلهية في دار الدنيا.

٩- تنبيه علىٰ كمال علم الله ﷻ، وأنه يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات، ويعلم ما كان وما سيكون؛ لتصريح الخبر بأنه أمر بكتابة أحوال العباد مفصلة.

١٠- فيه أن للأرحام ملكًا موكلًا بها؛ لقوله ﷺ: «**فيبعث إليه الملك**»؛ أي: الملك الموكل بالأرحام.

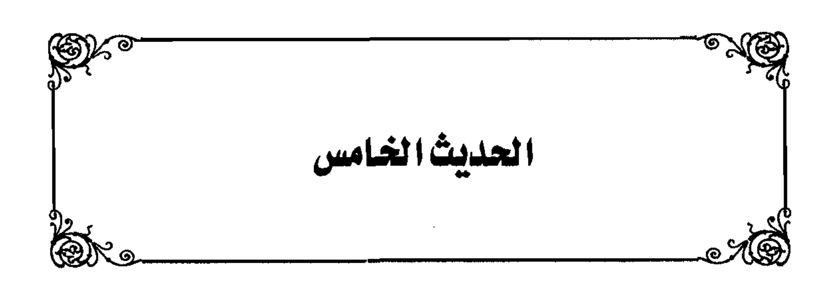
١٠- يجب علىٰ الإنسان أن يكون بين مقامي الخوف والرجاء؛ لأن رسول الله ﷺ أخبر: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار؛ فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة؛ فيدخلها**».

فائدة:

فإن قيل: ما الحكمة في أن الله يخذل هذا الذي عمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها.

فالجواب: أن هذا العامل عمل هذا العمل فيما يبدو للناس، وأما حقيقة نفسه؛ فإنها خبيثة، ونيته فاسدة، فتغلب النية الفاسدة فيختم له بخاتمة السوء، نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونسأله الثبات علىٰ التوحيد والسنة حتىٰ الممات، وأن يحسن خاتمتنا، ويرزقنا الشهادة في سبيله نصرةً لدينه، وإعلاءً لكلمته، لتكون هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلىٰ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.





الحديث الخامس

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

* توثيق الحديث:

أخرجه البخاري (٥/ ٣٠١-فتح)، ومسلم (١٧١٨).

هذا الحديث من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام؛ فينبغي حفظه وإشهاره، فهو قاعدة عظيمة في إبطال المحدثات والبدع، والأعمال التي ليس عليها أمر الشارع وردها، وقد استفاضت كلمات أهل العلم في بيان ذلك.

* راوي الحديث:

عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرة بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب.

الصديقة بنت الصديق، والحبيبة بنت الحبيب، أم المؤمنين، وزوجة خير البشر محمدﷺ في الدنيا والآخرة.

وكنيتها: أم عبد الله؛ كنيت بابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، على الصحيح.

وهي من أعلم فقهاء الصحابة، وأفقه نساء الأمة، وقد اشتغلت بالفتوىٰ والعلم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم حتىٰ ماتت رضي الله عنها.

توفيت بالمدينة النبوية، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها.

*** غريب الحديث:**

في أمرنا: في ديننا.

رد: مردود لا يلتفت إليه، ولا يعمل به.

*** موضوع الحديث:**

إبطال المحدثات والبدع وردها.

*** الشرح الإجمالي:**

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الدين، فهو ميزان ظاهر الأعمال كما أن حديث: «**الأعمال بالنيات**» ميزان لباطن الأعمال؛ لأن العمل له نية وصورة، فالصورة هي ظاهر العمل، والنية باطنه، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالىٰ فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون موافقًا للسنة فهو مردود علىٰ عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله؛ فليس من الدين في شيء.

*** فقه الحديث:**

١- المحدثات من الأمور مردودة، ولا يقيم الله لمحدثها يوم القيامة وزنًا.

٢- بيَّن الحديث أن المحدثات بدع، وكل بدعة ضلالة؛ فهو أصل في إبطال

تقسيم البدع إلىٰ سيئة وحسنة.

٣- جميع العقود المنهي عنها باطلة وكذلك ثمراتها؛ لأن ما بُني علىٰ باطل؛ فهو كذلك.

٤- الصلح الفاسد منتقض، والمأخوذ عليه مستحق للرد.

٥- زعم قوم: أن البدع التي هي ردّ المصادمة لقواعد الدين، والمخالفة لأصوله العامة وقواعده الكلية، أما الأمر المحدث في الدين الذي يشهد له أصل عام أو يندرج تحت حكم من أحكامه؛ فليس كذلك.

ويقضي علىٰ هذا الوهم ما أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٥٩٤)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٤/ ١٨) بإسناد صحيح: **«من أحدث في أمرنا ما ليس فيه؛ فهو رد»**، حيث أصبح للحديث ثلاث روايات صحيحة: **«ليس منه»**، و**«ليس عليه»**، و**«ليس فيه»**.

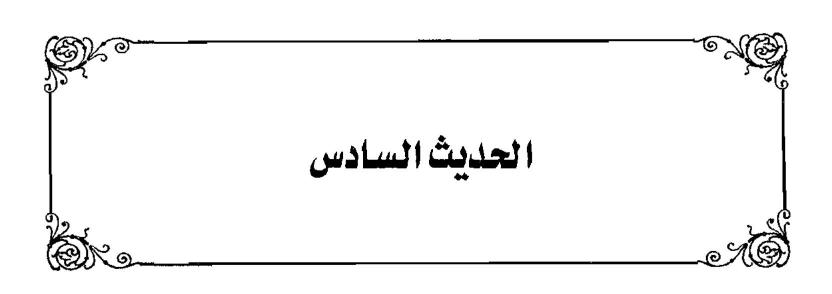
فالأولىٰ أعم في الرد؛ حيث اشتملت علىٰ الأصل والكيفية.

والثانية أخص في الكيفية والصفة.

والثالثة أصرح في التفصيل والتأصيل؛ إذ كل أمر ليس من الدين بأصله ووصفه وتفصيله مردود.

ناهيك أن فهم السلف للحديث يدل علىٰ استنكار الأمر المبتدع سواء أكان أصلًا أم وصفًا أم تركًا، والله الموعد.





الحديث السادس

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١/ ١٢٦-فتح)، ومسلم (١٥٩٩).

*** راوي الحديث:**

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس الخزرجي الأنصاري، كنيته: أبو عبد الله، هو وأبوه صحابيان، استشهد أبوه في عين القر مع خالد بن الوليد في آخر خلافة الصديق رضي الله عنه.

تولىٰ النعمان إمارة الكوفة وحمص وقضاء دمشق، وهو أول مولود

للأنصار في الإسلام بعد الهجرة، كان كريمًا جوادًا شاعرًا خطيبًا، روىٰ عن بعض الصحابة، وروىٰ عنه خلق كثير، وأخرج له الجماعة، قتل في قرية من قرىٰ حمص سنة خمس وستين.

* **غريب الحديث:**

بين: ظاهر وواضح.

مشتبهات: مشكلات؛ لما فيها من شبه الحلال والحرام، فتشبه مرة هذا ومرة هذا؛ فلم تخلص إلىٰ الحلال البين أو الحرام البين.

لا يعلمها: لا يعلم حكمها.

فمن اتقىٰ الشبهات: ابتعد عن المشكلات واحترز عنها.

استبرأ لعرضه ودينه: طلب البراءة لدينه من النقص ولعرضه من الطعن.

العرض: موضع المدح والذم من الإنسان.

الحِمىٰ: الكلأ الذي يمنعه الإمام، ويتوعد من يرعىٰ فيه.

محارمه: معاصيه التي حرمها الله كالقتل والسرقة.

مضغة: قطعة من اللحم.

* **موضوع الحديث:**

معالم الحلال والحرام والمشتبهات.

* **الشرح الإجمالي:**

قسم رسول الله ﷺ الأمور إلىٰ ثلاثة أقسام:

- حلال بين لا شبهة فيه، ومثاله: حل بهيمة الأنعام.

- حرام بين لا شك يعتريه، ومثاله: تحريم الخمر.

- وأمر مشتبه في حكمه أهو حلال أم حرام، وحكمه يخفىٰ علىٰ كثير من الناس، وإلا فهو معلوم عند أهل العلم.

والمشتبهات حث الرسول ﷺ علىٰ تركها ورعًا؛ لكيلا يقع العبد في محارم الله، ومن تركها فقد استبرأ لدينه أمام الحق وعرضه عند الخلق بحيث لا يقولون: فلان وقع في الحرام؛ لأنه عندهم مشتبه.

ثم ضرب رسول الله ﷺ مثلًا لذلك بالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ؛ فتكون أرضه خضراء؛ لأنها لم ترع من قبل؛ فتجذب البهائم حتىٰ تدب فيها وترعاها.

ثم بين رسول الله ﷺ أن من تجرأ علىٰ المشتبهات أوشك أن يخالط الحرام.

ثم بين رسول الله ﷺ منزلة القلب في الجسد، وأنه بمنزلة الملك وجميع الجوارح الرعية؛ فإذا صلح الراعي صلحت الرعية، وإذا فسد الراعي فسدت الرعية.

وفيه إشارة إلىٰ أنه يجب علىٰ الإنسان أن يراعي ما في قلبه من الهوىٰ الذي يعصف به حتىٰ يقع في الحرام والأمور المشتبهات.

*** فقه الحديث:**

١- لقد أنزل الله تعالىٰ علىٰ عبده الكتاب، وبيَّن فيه للأمة ما تحتاج إليه من

حلال وحرام، ووكل بيان ما أشكل من التنزيل إلىٰ الرسول ﷺ؛ فوالله ما مات رسول الله حتىٰ ترك السبيل نهجًا واضحًا.

٢- فما ترك الله ورسوله حلالًا إلا مبينًا؛ ولا حرامًا إلا مبينًا، لكن بعضه أظهر بيانًا من بعض، فما ظهر بيانه واشتهر وعلم حكمه؛ لم يبق لأحد عذر بجهله في بلد يظهر فيها الإسلام.

٣- وهناك منزلة بين الحلال والحرام؛ اختلط فيها الأمران، فمن اتقاها فقد نجا.

٤- وبكل حالٍ؛ فالأمور المشتبهة التي لا يتبين أنها حلال ولا حرام لكثير من الناس؛ كما أخبر به النبي ﷺ قد يتبين لبعض الناس أنها حلال أو حرام لما عنده من ذلك من مزيد علم.

٥- فمن اشتبه عليه أمر؛ فعليه تركه؛ لأن الذي يأتي الشبهات -مع اشتباهها عليه- قد أخبر عنه النبي ﷺ أنه وقع في الحرام.

٦- والدافع وراء الاستبراء للدين والعرض أو الوقوع في الشبهات هو صلاح حركة القلب أو فسادها، فإن صلحت حركة القلب؛ صلحت حركات الجوارح، واجتنب العبد المحرمات واتقىٰ الشبهات، والعكس بالعكس.

٧- ينبغي علىٰ العبد المحافظة علىٰ أمور دينه ومراعاة المروءة واجتناب خوارمها؛ لأن من دخل مداخل السوء اتهم.

٨- الوقوع في الحرام البيِّن لا يكون مباشرة ولكن بالتدرج، فمن استكثر

من المكروه والمشتبه؛ صارت فيه جرأة علىٰ ارتكاب المنهي عنه في الجملة ويدمن عليه.

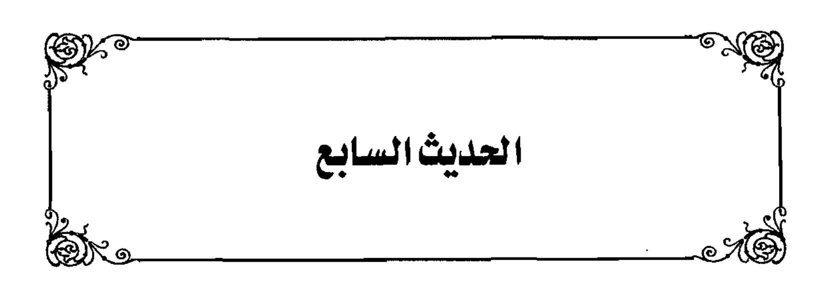
٩- إذا عصيت الله فلا تنظر إلىٰ صغر المعصية، ولكن انظر إلىٰ عظيم من عصيت، وغيرته أن تنتهك محارمه.

١٠- ينبغي للعبد أن يحتاط لدينه؛ فيترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

١١- العلم نور يبصر به العبد حقائق الأشياء التي لا تظهر لكثير من الناس.

١٢- صلاح الباطن يؤدي إلىٰ صلاح الظاهر، والعكس بالعكس.





الحديث السابع

٧- عَنْ أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لله، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٥٥) فهو من أفراد مسلم.

وقد ورد عن أبي داود: أن هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها يدور الفقه.

وقال أبو نعيم: «هذا الحديث له شأن عظيم».

وذكر محمد بن أسلم الطوسي: أنه أحد أرباع الدين.

*** راوي الحديث:**

هو تميم بن أوس بن خارجة ينسب إلى الدار وهو بطن من لخم، يكنى: أبا رقية بابنة له تسمى رقية لم يولد له غيرها.

ولد بفلسطين، وكان راهبها وعابدها، ثم قدم إلى المدينة وافدًا على النبي ﷺ؛ ليسلم فروى عنه النبي ﷺ حديث الجساسة، وكان إسلامه في سنة تسع من

الهجرة، وقد صحب تميم رسول الله ﷺ وغزا معه وروىٰ عنه، وكان يسكن المدينة، ثم انتقل منها إلىٰ الشام بعد مقتل عثمان ﵁، وكان ورعًا كثير العبادة.

روىٰ له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

وتوفي ﵁ سنة أربعين من الهجرة.

*** غريب الحديث:**

النصيحة: عناية القلب للمنصوح له كائنًا من كان.

النصيحة لله ﷻ : هي النصيحة لدينه بالقيام بأوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وغير ذلك من شعائر الإسلام وشرائعه.

النصيحة لكتابه: الإيمان بأنه كلام الله، وأنه مشتمل علىٰ الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والقصص النافعة، وأنه يجب أن يكون التحاكم إليه في جميع شئوننا.

النصيحة للرسول ﷺ: الإيمان به، وأنه رسول الله إلىٰ جميع العالمين، ومحبته، والتأسي به، وتصديق خبره، وامتثال أوامره، واجتناب نهيه، والدفاع عن دينه.

النصيحة لأئمة المسلمين: مناصحتهم ببيان الحق، وعدم التشويش عليهم، والصبر علىٰ ما يحصل منهم من الأذىٰ، وغير ذلك من حقوقهم المعروفة، ومساعدتهم، ومعاونتهم فيما يجب فيه المعونة؛ كدفع الأعداء، ونحو ذلك.

النصيحة لعامة المسلمين: أي: سائر المسلمين ببذل النصيحة لهم بالدعوة

إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليمهم الخير، وما أشبه هذا، ومن أجل ذلك صار الدين النصيحة، وأول ما يدخل في عامة المسلمين نفس الإنسان أن ينصح الإنسان نفسه وأهله وعشيرته الأقربين.

*** موضوع الحديث:**

بيان مراتب النصيحة وأحكامها.

*** الشرح الإجمالي:**

إن التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة ميثاق إسلامي أخذه الله ورسوله علىٰ الجيل القدوة الأول ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين؛ قال -عز ثناؤه-: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

وقال -تبارك اسمه-: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:١٧-١٨].

أخرج الشيخان عن جرير بن عبد الله: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم».

والنصيحة كلمة جامعة؛ معناها: حيازة الخير للمنصوح له؛ فهي من وجيز الكلام، بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفىٰ بها العبارة عن معنىٰ هذه الكلمة.

ولذلك جعلها رسول الله ﷺ الدين كله؛ كما في هذا الحديث الشريف.

وما ذلك إلا لأنها محصلة لغرض الدين، حيث تبرز من خلالها صورة

الأمة المسلمة ذات الكيان الخاص، والرابطة المميزة، والوجهة الموحدة، الأمة التي تشعر بوجودها كما تشعر بواجبها، وتعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من السير بالبشرية إلىٰ طريق الإيمان والعمل الصالح، فتتواصىٰ فيما بينها بما يعينها علىٰ النهوض بالإمامة الكبرىٰ، والأمانة العظمىٰ.

فمن خلال لفظ النصيحة -المتضمن كلمة التواصي، ومعناه، وطبيعته، وحقيقته- تبرز صورة الأمة المتضامنة، المتضامة، الخيرة، الواعية، القيِّمة في الأرض علىٰ الحق والعدل والخير.

وهي أنصع وأرفع صورة للأمة المختارة التي أرادها الله أن تكون قائمة علىٰ حراسة الحق والخير، متواصية بالخير والصبر في مودَّةٍ وتعاونٍ وتآخٍ، تنضح بها كلمة التواصي.

إن التواصي بالحق ضرورة للنهوض بالحق؛ لأن المعوقات كبيرة: هوىٰ النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة... إلخ.

والتواصي تذكير، وتشجيع، وإصلاح، وإشعار بالقربىٰ في الهدف والغاية، والأخوَّة في العبء والأمانة؛ فهو حصيلة الاتجاهات الفردية كلها، حيث تتفاعل معًا، فتتضاعف أضعافًا كثيرة، ويقوىٰ أمرها، وتستغلظ، فتستوي علىٰ سوقها، لتوتي أُكُلَهَا كل حين بإذن ربها.

والتواصي بالصبر ضرورة؛ لتتضاعف المقدرة علىٰ الثبات علىٰ الحق، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المسار، وتعاضد الجميع، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار؛ فهو معيار تماسك الأمة المسلمة، فهي أعضاء متجاوبة

الحس تشعر شعورًا واحدًا.

فيوصي بعضها بعضًا بالصبر علىٰ العبء المشترك، ويثبت بعضها بعضًا؛ فلا تتخاذل، ويقوي بعضها بعضًا؛ فلا تولي يوم الزحف.

وهذا غير الصبر الفردي، وإن كان قائمًا عليه؛ فهو إيحاء جليٌّ بواجب المؤمن في الأمة المسلمة بألا يكون عنصر تخذيل وتثبيط، بل عنصر تثبيت، ولا يكون داعية هزيمة بل داعية ثبات، ولا يكون مثار جزع بل مهبط سكينة وطمأنينة.

وكذلك التواصي بالرحمة أمر فوق المرحمة؛ لأنه إشاعة الشعور بواجب التراحم والتعاطف والتوادِّ في الصُّفوف المؤمنة؛ ليزداد البنيان تماسكًا، حيث يكون التحاضُّ علىٰ المرحمة واجبًا فرديًّا جماعيًّا في الوقت نفسه، يتعارف عليه الجميع ، ويتعاون عليه الجميع.

*** فقه الحديث:**

١- انحصار الدين في النصيحة، لقول النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**»، وهذا يدل علىٰ أهميتها.

٢- أن مواطن النصيحة خمسة: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

٣- الحث علىٰ النصيحة في هذه المواطن الخمسة؛ لأنها إذا كانت هذه هي الدين؛ فإن الإنسان بلا شك يحافظ علىٰ دينه ويتمسك به، ولهذا جعل النبي ﷺ النصيحة في هذه المواطن الخمسة.

٤- تحريم الغش؛ لأنه إذا كانت النصيحة الدين؛ فالغش ضد النصيحة، فيكون علىٰ خلاف الدين، وقد ثبت عن النبيﷺ أنه قال: «**من غشنا فليس منا**».

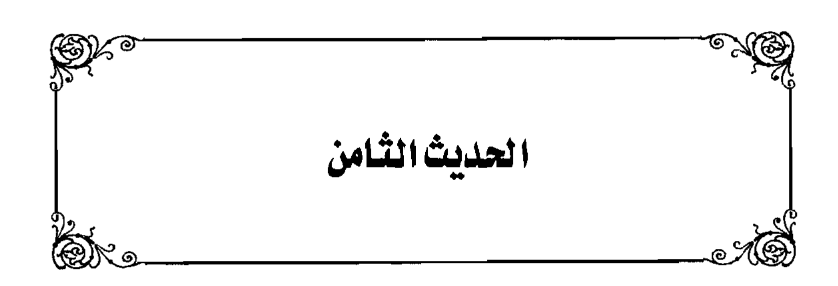
٥- النصيحة علىٰ وجهين: فرض ونافلة.

٦- ليس من شرط النصيحة حتىٰ تبذل القبول.

٧- من أعظم أنواع النصح أن ينصح لمن استشاره في أمره؛ كما قالﷺ: «**إذا استنصح أحدكم أخاه؛ فلينصح له**» أخرجه مسلم.

٨- يجب علىٰ المسلم نصح الذمي، وعليه نصح المسلم، قاله الإمام أحمد، ودليله حديث: «**والنصح لكل مسلم**» متفق عليه.





الحديث الثامن

٨- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١/ ٧٥-فتح)، ومسلم (٢٢).

وقد تفرد البخاري بجملة «**إلا بحق الإسلام**».

وهو حديث متواتر ورد عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم؛ كما نص علىٰ ذلك جمع من أهل العلم منهم: السيوطي في «الجامع الصغير»، وشيخنا الألباني في «الصحيحة» (٤٠٧).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الحديث الثاني.

*** غريب الحديث:**

أمرت: أي: أمرني الله، ولم يسم الفاعل؛ لأنه معلوم أن الأمر والنهي من عند الله تَعَالَىٰ.

عصموا: منعوا وحفظوا.

إلا بحق الإسلام: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن يجب عليهم بعد عصمة دمائهم وأموالهم أن يقوموا بحق الإسلام من فعل الواجبات وترك المحظورات.

*** موضوع الحديث:**

الدعوة إلىٰ التوحيد وبيان أهميته.

*** الشرح الإجمالي:**

خلق الله سبحانه الخلق ليعبدوه وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولكن الشياطين اجتالتهم فعبدوا الأصنام والأوثان واتخذوا من دون الله أندادًا؛ فأرسل الله الرسل ليقيموا الحجة الرسالية علىٰ البشر؛ فأمروا الناس بالتوحيد: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ولما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء أمره الله تَعَالَىٰ بما أمر به المرسلين من الدعوة إلىٰ التوحيد ومقاتلة الناس حتىٰ يقروا لله بالعبودية، فأخبر الرسول بهذا الحديث، وأن الله أمره بذلك.

* فقه الحديث:

١- القتال في الإسلام لأهل الأوثان حتىٰ يدخلوا في الإسلام، ودليل دخولهم فيه: نطقهم بالشهادتين، وإقامتهم للصلاة، وأداؤهم للزكاة، وكذا اعترافهم ببقية أركان الإسلام، وإنما لم تذكر في الحديث إما لأنها لم تكن قد فرضت وقتئذ، أو اكتفاء بما ذكر تنبيهًا بالأعلىٰ علىٰ الأدنىٰ.

٢- وإذا أعلنوا الدخول في الإسلام حرمت دماؤهم وأموالهم، وحساب بواطنهم وصدق قلوبهم علىٰ الله تعالىٰ، أما نحن فنعاملهم معاملة المسلمين في إجراء أحكام الإسلام في الدنيا.

٣- فيه دليل علىٰ قبول الأعمال الظاهرة، والحكم بما يقتضيه الظاهر.

٤- التوحيد الذي يقاتل الناس حتىٰ يقروا به هو: إفراد الله بالعبادة، ووصفه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال، وليس توحيد الربوبية لأن العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ حتىٰ يقولوا: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وهو: أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي ينزل الغيث.

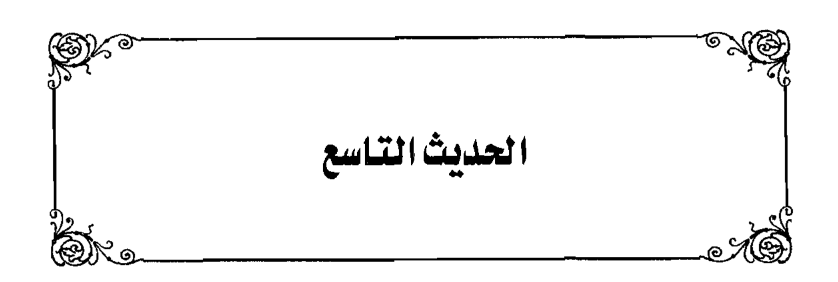
ولكنهم كانوا مشركين بالعبادة؛ فزعموا: أنهم اتخذوا الأصنام وسائل لتقربهم إلىٰ الله زلفىٰ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]. ويضاف إلىٰ هذا كله أن توحيد الربوبية أمر فطري في النفس البشرية؛ كما قال تعالىٰ علىٰ لسان الرسل: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم:١٠].

٥- وعليه فإن معنىٰ الكلمة الطيبة التي يقاتل الناس عليها حتىٰ يقولوها هو: لا معبود بحق إلا الله، ولا متبوع بصدق إلا محمد ﷺ، وبسط ذلك في كتب

عقيدة أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر أتباع السلف الصالح.

٦- إثبات الحساب، وأن الله سيحاسب كل إنسان علىٰ عمله إن كان خيرًا فخير ولله الحمد وإن كان شرًّا فشر ولا يلومن العبد إلا نفسه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].





الحديث التاسع

٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ؛ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ؛ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ**».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١٣/ ٢٥١-فتح)، ومسلم (١٣٣٧).

*** راوي الحديث:**

اختلف في اسمه في الإسلام علىٰ نحو ثلاثين قولًا، أصحها: عبد الله -أو عبد الرحمن- بن صخر، وهو دوسي أزدي، يماني، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزم رسول الله ﷺ حتىٰ صار حافظ الصحابة وراوية الإسلام، وتوفي ﷺ سنة (٥٩هـ) علىٰ أصح الأقوال.

*** غريب الحديث:**

ما نهيتكم: أي: الشيء الذي أنهاكم عنه.

فاجتنبوه: اتركوه كله ولا تفعلوا منه شيئًا؛ لأن الاجتناب أسهل من الفعل؛

كلٌّ يدركه ويستطيعه.

وما أمرتكم: أي الشيء الذي آمركم به.

فائتوا منه ما استطعتم: قُيِّد بالاستطاعة؛ لأن الأمر فعل، وقد يشق الفعل علىٰ الإنسان.

*** موضوع الحديث:**

التكاليف الشرعية بين فعل المأمور وترك المحظور.

*** سبب ورود الحديث:**

عن أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، قد فُرض عليكم الحج؛ فحجوا**». فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتىٰ قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت: نعم؛ لوجبت، ولما استطعتم**». ثم قال: «**ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم علىٰ أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء؛ فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء؛ فدعوه**» أخرجه مسلم.

*** الشرح الإجمالي:**

لا يتم التكليف الشرعي إلا بأمر (افعل)، ونهي (لا تفعل)، ولما كان النهي سهلًا اجتنابه؛ لأن كل عبد يدركه ويستطيعه فقد أمر الرسول ﷺ بتركه جميعًا واجتنابه كله، وأما الأمر؛ فهو فعل، والفعل قد يشق علىٰ الإنسان أو قد تحول بينه وبين الفعل موانع؛ فلذلك قيده الرسول ﷺ بالاستطاعة وربطه بالقدرة.

ثم حثهم علىٰ عدم كثرة السؤال وبخاصة السؤال عما لا يحتاج إليه وقد يسوء السائل جوابه؛ مثل سؤال السائل: هل هو في النار أو في الجنة؟ وهل أبوه ما ينسب إليه أو غيره؟ أو السؤال علىٰ وجه التعنت والعبث والاستهزاء؛ كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيره.

أو سؤال آيات الاقتراح الذي كان يسأله المشركون وأهل الكتاب، وهذا موافق لقوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ١٠١].

ثم بين لهم أن هذا من سنن الأمم السابقة والتي كانت من أسباب هلاكهم.

*** فقه الحديث:**

١- الأمر بترك السؤال عن شيء لم يقع خشية أن ينزل به وجوب أو عزيمة؛ لأن كثرة السؤال توصل إلىٰ تعقيد المسائل وتفريعها، وتفتح باب الشبهات المفضية إلىٰ كثرة الاختلاف الذي يفضي إلىٰ الهلاك.

٢- وجوب ترك كل ما نهىٰ عنه رسول الله ﷺ نهيًا جازمًا؛ لأنه لا مشقة في تركه، ولذلك كان النهي عنه عامًّا.

٣- فعل المأمور به قد يلزم منه مشقة؛ ولذا كان الأمر به علىٰ قدر الاستطاعة.

٤- ينبغي الانشغال بالأهم المحتاج إليه عاجلًا عما لا يحتاج إليه في الحال.

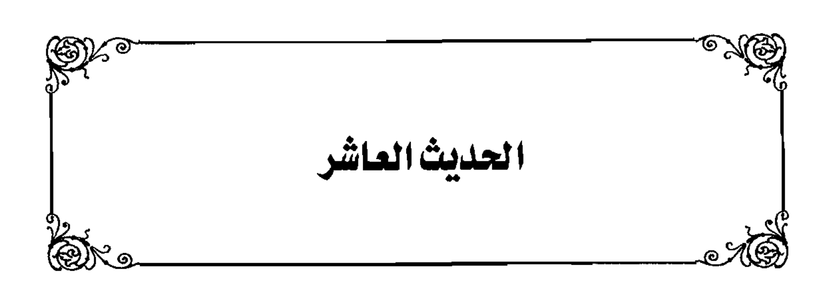
٥- ينبغي علىٰ المسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله، ثم يجتهد في تفهم ذلك، والوقوف علىٰ مراد الله فيه، ثم يتشاغل بالعمل به، فإن كان من

العلميات صدقه واعتقد حقيقته، وإن كان من العمليات بذل وسعه في تطبيقه والقيام به.

أما إذا كانت الهمة مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلىٰ فرض أمور قد تقع وقد لا تقع مع الإعراض عن القيام بمقتضىٰ ما سمع؛ فإن هذا يدخل في النهي؛ لأن التفقه إنما يحمد للفعل، لا للمراء والجدال، وقيل وقال.

٦- يسر دين الإسلام وسهولته حيث لم يوجب علىٰ العباد إلا ما يستطيعون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون.





الحديث العاشر

عَنْ أَبِي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

ثُمَّ ذكر: الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

* توثيق الحديث:

أخرجه مسلم (١٠١٥).

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

إن الله طيب: طيب في ذاته وصفاته وأفعاله.

لا يقبل إلا طيبًا: لا يقبل إلا طيبًا في ذاته، وطيبًا في كسبه، وأما الخبيث في ذاته أو في كسبه؛ فإن الله يمحقه ويبطله.

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين: خاطب المؤمنين بالتكاليف الشرعية التي خاطب بها المرسلين في تحليل الطيبات وتحريم الخبائث؛ كما وصف رسولهﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

يطيل السفر: كثير السفر والترحل لا يضع عصاه.

فأنىٰ يستجاب لذلك: كيف يستجاب دعاؤه، ويقبل سعيه.

*** موضوع الحديث:**

الرزق الحلال الطيب من أسباب قبول الدعاء وتحققه.

*** الشرح الإجمالي:**

أخبر الرسولﷺ أن الله ﷻ قد تقدست ذاته وصفاته وأفعاله عن كل قبيح وخبيث؛ فهو سبحانه طيب، ولذلك؛ فهو لا يقبل من العباد والأعمال إلا ما كان طيبًا في ذاته وكسبه.

ثم بيَّن رسول اللهﷺ أن الخطاب الإلهي للمرسلين هو خطاب للمؤمنين ولا فرق إلا ما جاء تخصيصه بالنبيﷺ.

ثم بيَّن رسول اللهﷺ أن الكسب الحرام يمنع استجابة الدعاء؛ فضرب مثالًا

لرجل يطيل السفر وهو كذلك متضرع في هيئته وقوله، ويرفع يديه إلىٰ السماء، وكل هذه من أسباب استجابة الدعاء، ولكنه فعل مانعًا من ذلك؛ وهو: الكسب الحرام؛ فأنىٰ يستجاب له.

*** فقه الحديث:**

١- وصف الله تعالىٰ بأنه طيب ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا، وأنه منزه عن كل نقص وعيب وقبيح.

٢- من الأعمال ما يقبله الله ومنها ما لا يقبله.

٣- لا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان طيبًا، وأما ما كان خبيثًا؛ فإن الله لا يقبله بل هو رَدٌّ.

٤- أمر الله عباده المرسلين والمؤمنين بأكل الطيبات واكتساب الحلال.

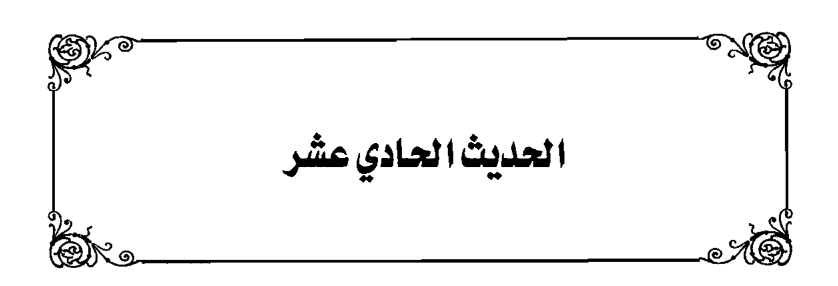
٥- وجوب شكر المنعم ﷻ علىٰ آلائه ونعمائه، فله الحمد في الأولىٰ والآخرة.

٦- من أسباب استجابة الدعاء: السفر، ورفع اليدين، والتوسل إلىٰ الله بالربوبية؛ لأن بها الخلق والتدبير، وأكل الحلال.

٧- أكل الحرام مانع في استجابة الدعاء.

٨- الرسل مكلفون بالعبادات والطاعات؛ كما أن المؤمنين مكلفون بذلك.

٩- ينبغي علىٰ العبد أن يكون فقيهًا يعلم ما يحصل به أسباب نجاته؛ فيعض عليها بالنواجذ، ويعلم ما يكون به هلاكه؛ فيفر منه فراره من الأسد.



الحديث الحادي عشر

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَيْحَانَتِهِ رضي الله عنهما- قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

توثيق الحديث:

صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٨/ ٣٢٧-٣٢٨)، وأحمد (١/ ٢٠٠) من طرق عن شعبة عن بُرَيد بن أبي مريم عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: (وذكره).

قلت: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وله شواهد عن أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

وهذا الحديث قطعة من حديث قنوت الوتر، وعند الترمذي زيادة: «**فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**».

*** راوي الحديث:**

هو الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة، وأشبه الناس بالمصطفى ﷺ.

ولد في رمضان سنة (٣هـ)، وعق عنه جده المصطفىٰ ﷺ كبشًا.

وكان سيدًا وسيمًا جميلًا عاقلًا حليمًا جوادًا خيرًا يكره الفتن والسيف.

بعد وفاة أبيه بويع بالخلافة؛ فتهيأ لقتال أهل الشام، ثم رأىٰ أن الصلح خير له وللمسلمين، فتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عام (٤٠هـ)، وسمي هذا العام: عام الجماعة؛ لاجتماع أمر المسلمين، وقد وردت في فضائله أحاديث كثيرة، منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال للحسن: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه**». متفق عليه.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر والحسن إلىٰ جنبه، ينظر إلىٰ الناس مرة وإليه مرة، ويقول:«**إنَّ ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**». أخرجه البخاري.

وعن حذيفة وجمع من الصحابة قالوا: قال النبي ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**». أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو حديث متواتر؛ كما نص علىٰ ذلك المناوي ووافقه شيخنا الألباني -رحمهما الله-.

توفي شهيدًا سنة (٥٠هـ) بالمدينة النبوية مسمومًا.

*** غريب الحديث:**

يريبك: تتوهم منه، ولم تحقق فيه.

طمأنينة: استقرار القلب وعدم اضطرابه، وسكون النفس إليه.

* موضوع الحديث:

الوقوف عند الشبهات واتقائها.

* الشرح الإجمالي:

يرشد رسول الله ﷺ المؤمن إلىٰ معيار في التعامل مع الشبهات وكيفية اتقائها؛ فإن الحلال المحض لا يحصل لمؤمن في قلبه من ريب، بل تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب.

وكذلك الحرام المحض؛ فإن النفس تشمئز منه، والقلب ينفر منه.

وأما المشتبهات؛ فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك.

وفي هذا المقام قال ﷺ: «**دع ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك**»؛ أي: اترك الذي شك فيه إلىٰ الشيء الذي لا تشك فيه.

وهذا يشبه حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «... **وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنَّ كثير من الناس؛ فمن اتقىٰ الشبهات؛ فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

فالذي يريبك وتشك فيه سواء أكان في أمور الدنيا أو أمور الآخرة؛ فالأحسن أن ترتاح منه وتدعه، حتىٰ لا يزعج نفسك قلق، ولا يختلج في قلبك حيرة واضطراب فيما فعلت وأتيت.

* فقه الحديث:

١- من الورع الوقوف عند الشبهات والمشتبهات واتقائها؛ فإن الحلال

المحض لا يحصل لمؤمن في قلبه منه ريب، ومن اتقىٰ الشبهات؛ فقد استبرأ لدينه وعرضه.

٢- التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله، وتشابهت في التقوىٰ والورع أعماله، أما من ينتهك المحرمات الظاهرة، ويتورع عن دقائق الشبه؛ فهذا ورع بارد، وتهوُّك زائد.

٣- الرجوع إلىٰ القلوب عند الاشتباه، فما سكن إليه القلب، وانشرح إليه الصدر؛ فهو البر والحلال، فإن الخير تطمئن به القلوب، وما كان خلاف ذلك؛ فهو الإثم والحرام، والشر ترتاب به ولا تطمئن إليه، وينبغي ألا يكون في القلب ميل سابق أو هوىٰ مستحكم؛ فإن النتائج ظلال المقدمات.

٤- الأولىٰ الخروج من اختلاف العلماء في المسائل التي تتكافأ فيها الأدلة ويصعب الجمع أو الترجيح؛ فإن ذلك أبعد عن الشبه.

٥- فصل فيه نماذج عالية ونصائح غالية من حياة السلف الصالح في هذا الباب.

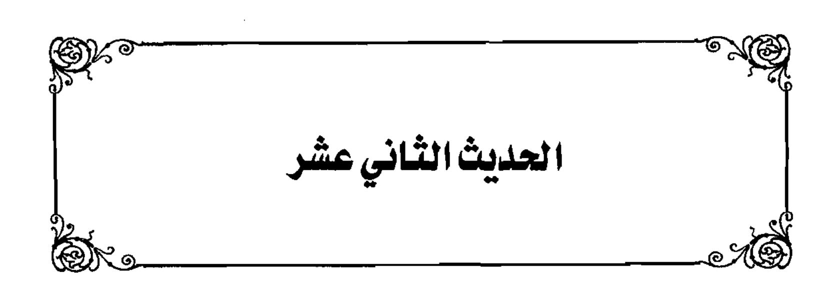
قال ابن المبارك: «كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة، فاشتر السكر فيما قبلك، فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل فإذا فيما اشتراه ربح ثلاثين ألفًا.

قال: فأتىٰ صاحب السكر، فقال: يا هذا! إن غلامي كان قد كتب إليَّ، فلم أعلمك، فأقلني فيما اشتريت منك.

فقال له الآخر: قد أعلمتني الآن، وقد طيَّبْتُهُ لك. قال: فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه، فقال: يا هذا! إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه، فأحب أن تسترد هذا البيع.

قال: فما زال به حتىٰ ردَّه عليه.

وكان المسور بن مخرمة قد احتكر طعامًا كثيرًا، فرأىٰ سحابًا في الخريف، فكرهه، فقال: ألا أراني كرهت ما ينفع المسلمين؟ فآلىٰ ألا يربح فيه شيئًا، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب ﷺ؛ فقال له عمر: جزاك الله خيرًا».



الحديث الثاني عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ: رَوَاه التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هَكَذَا.

*** توثيق الحديث:**

صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)من طريق الأوزاعي عن قرَّة بن عبد الرحمن بن حيوئيل عن الزهري عن أبي سلمة عنه به.

وهذا إسناد حسن رجاله ثقات؛ غير قرَّة بن عبد الرحمن بن حَيوئيل؛ فإنه صدوق له مناكير.

وله شاهد من حديث علي بن الحسين بن علي مرسلًا: أخرجه مالك (٢/ ٩٠٣)، ومن طريقه الترمذي (٢٤٢٠).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح لغيره.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة: أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، وزيد ابن ثابت، والحارث بن هشام ﷺ.

وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب؛ كما نص على ذلك ابن الصلاح وابن رجب وغيرهم.

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

من حسن إسلام المرء: من علامة كماله واستقامته.

تركه ما لا يعنيه: ما لا يحتاجه ولا ضرورة إليه بحكم الشرع لا بحكم الهوىٰ وطلب النفس.

*** موضوع الحديث:**

حرص الإنسان علىٰ ما ينفعه.

*** الشرح الإجمالي:**

هذا الحديث جامع لأصول الأدب والسلوك السليم: أن من حسن إسلامه تركه ما لا يعنيه من قول وفعل، وأن يقصر همته علىٰ ما يعنيه من الأقوال والأفعال.

وهذا يملأ قلب المسلم راحة، ونفسه طمأنينة، ويحفز همته إلىٰ معالي الأمور.

*** فقه الحديث:**

١- علىٰ الإنسان أن يشتغل بما فيه صلاحه معاشًا ومعادًا، ويعرض عمَّا عدا ذلك بما لا يحتاجه ولا ينتفع به، بله ما يضره ويؤذيه، وألا يتطفل بشئون غيره؛ فإن ذلك من كمال الاستقامة.

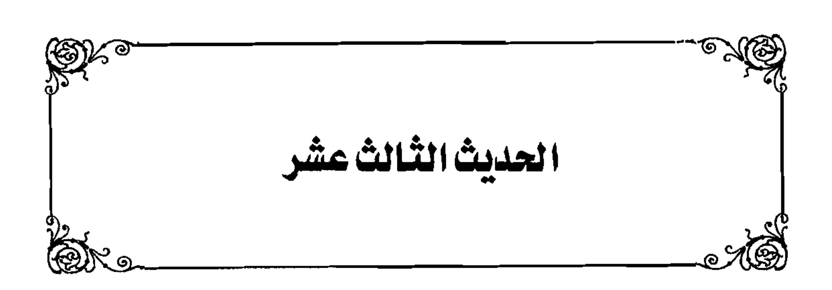
أكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان عن لغو الكلام؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠].

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من عد كلامه من عمله؛ قل كلامه؛ إلا فيما يعنيه».

١- بيان فضل مَنْ حَسُنَ إسلامه، وقد جاءت أحاديث تبين أنه تضاعف حسناته، وتكفر سيئاته؛ منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحسن أحدكم إسلامه؛ فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وكل سيئة تكتب بمثلها، حتىٰ يلقىٰ الله** عَزَّ وَجَلَّ». أخرجه مسلم.



الحديث الثالث عشر

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١/ ٥٦-٥٧-فتح)، ومسلم (٤٥).

وعند الإمام أحمد (٣/ ١٧٦ و٢٠٦ و٢٥١ و٢٧٢ و٢٧٨ و٢٨٩) زيادة: «**من الخير**». بإسناد صحيح.

راوي الحديث:

هو أبو حمزة؛ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، جاءت به أمه -أم سليم- إلىٰ رسول الله ﷺ؛ ليخدمه، فَقَبِلَهُ وخدمه عشر سنين، ودعا له بكثرة المال والولد، وطول الحياة، ودخول الجنة.

كان من أكثر الصحابة حديثًا، سكن البصرة، وتوفي سنة ثلاث وتسعين، وهو آخر الصحابة موتًا بالبصرة؛ لكن ليس علىٰ الإطلاق؛ لأن آخر الصحابة وفاة: أبو الطفيل عامر بن واثلة، والله أعلم.

*** غريب الحديث:**

لا يؤمن: إيمانًا كاملًا.

ما يحب لنفسه: من الخير في أمور الدنيا والدين؛ كما صرحت به الزيادة عند أحمد.

*** موضوع الحديث:**

من منازل الإيمان: محبة الخير للإخوان.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر رسول الله ﷺ أن العبد المؤمن لن يبلغ كمال الإيمان حتىٰ يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من خير الدنيا والدين؛ لأن هذا مقتضىٰ الأخوة الإيمانية.

*** فقه الحديث:**

١- من شرط الإيمان الكامل: أن يرغب المسلم في أن يحصل للمسلمين ما يرغبه ويهواه لنفسه من الخيرات والطاعات.

٢- المحبة من أعمال القلوب التي تؤثر علىٰ الإيمان زيادة ونقصانًا.

٣- أهل الإيمان كلهم إخوة جمع بينهم المنهج الرباني.

٤- مجتمع المسلمين وِحَدَة لا تتجزأ؛ يجمعهم الإيمان وتحفُّهم المحبة.

٥- الإيمان يتفاضل: منه كامل، ومنه ناقص؛ فالإيمان يزيد وينقص.

٦- استعمال ما يكون به العطف والمودة والرحمة بين المسلمين؛ فإنه قال: «**لأخيه**»، ولو شاء لقال: حتىٰ يحب للمؤمن ما يحب لنفسه، لكنه قال: «**لأخيه**». استعطافًا أن يحب المؤمن للمؤمن ما يحب لنفسه من الخير.

٧- من اتصف بكمال الإيمان لا يؤذي مؤمنًا ولا يتعدىٰ علىٰ مسلم في ماله أو عرضه .

٨- **قال شيخنا الإمام الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الصحيحة» (٧٣)**: «واعلم أن هذه الزيادة: «**من الخير**»؛ زيادة هامة تحدد المعنىٰ المراد من الحديث بدقة؛ إذ إن كلمة (الخير) جامعة تعمُّ الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات؛ لأن اسم الخير لا يتناولها كما هو واضح.

فمن كمال خلق المسلم: أن يحبَّ لأخيه من الخير مثلما يحبُّ لنفسه، وكذلك أن يبغض لأخيه ما يبغضه لنفسه من الشر.

وهذا؛ وإن لم يذكره في الحديث؛ فهو من مضمونه؛ لأن حبّ الشيء مسلتزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاءً؛ كما قاله الكرماني، ونقله الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٥٤) وأقرّه».





الحديث الرابع عشر

عَنِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١٢/ ٢٠١-فتح)، ومسلم (١٦٧٦).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن مسعود ﷺ في الحديث الرابع.

*** موضوع الحديث:**

ما يباح به دم المسلم.

*** غريب الحديث:**

لا يحل دم امرئ مسلم: لا يحل قتله إلا بإحدىٰ هذه الأمور.

الثيب: هو المحصن؛ أي: المتزوج، وهو اسم جنس يدخل فيه الذكر والأنثىٰ.

النفس بالنفس: القاتل العمد الذي يعمد إلىٰ نفس معصومة؛ فيزهقها عدوانًا وظلمًا.

والتارك لدينه المفارق للجماعة: المرتد عن الإسلام، المفارق لجماعة المسلمين.

*** الشرح الإجمالي:**

حرص الشارع الحكيم الرحيم علىٰ إبقاء النفوس وأمنِهَا، فجعل لها من شرعه حماية ووقاية، فجعل أعظم الذنوب -بعد الإشراك بالله- قتل النفس التي حرم الله.

وحرم -هنا- قتل المسلم الذي أقر بالشهادتين إلا أن يرتكب واحدة من الخصال الثلاث:

الأولىٰ: أن يزني وقد مَنَّ الله عليه بالإحصان، وأعفَّ فرجه بالنكاح الصحيح.

والثانية: أن يعمد إلىٰ نفس معصومة؛ فيزهقها عدوانًا وظلمًا.

فالعدل والمساواة لمثل هذا، أن يلقىٰ مثل ما صنع إرجاعًا للحق إلىٰ نصابه، وردعًا للنفوس الباغية عن العدوان.

والثالثة: من يبتغي غير سبيل المؤمنين، بالارتداد عن دينه، والرجوع عن عقيدته، فهذا يقتل؛ لأنه لا خير في بقاء من ذاق حلاوة الإيمان، ثم رغب عنه وزهد فيه.

فهؤلاء الثلاثة يقتلون؛ لأن في قتلهم سلامة الأديان، والأبدان، والأعراض.

فقه الحديث:

١- تحريم دم المسلم وقتله من ذكر أو أنثىٰ، صغير أو كبير.

٢- أن العبد لا يكون مؤمنًا مسلمًا إلا بالنطق بالشهادتين.

٣- أن دماء المسلمين معصومة؛ إلا ما استثناه النص.

٤- مشروعية قتل الزاني المتزوج ذكرًا كان أو أنثىٰ رجمًا، وهو: الرجم بالحجارة حتىٰ الموت.

٥- مشروعية قتل القاتل للنفس، ووجوب القصاص في النفس بشروطه.

٦- مشروعية قتل المرتد وإباحة دمه رجلًا كان أو امرأة.

٧- جواز وصف الإنسان بما كان عليه ولو انتقل عنه؛ لاستثنائه المرتد من المسلمين، وهو اعتبار ما كان.

٨- وجوب حفظ الضرورات الخمس: المال، والعرض، والدين، والعقل، والنفس.

٩- صيانة المجتمع المسلم من كل فساد.

١٠- الحفاظ علىٰ الأسرة المسلمة؛ لأنها اللبنة الأولىٰ في المجتمع المسلم.

١١- لا يوجد في الإسلام ما يسمىٰ بحرية الفكر! حيث يجوز للمرء اعتقاد ما شاء وكيف شاء؛ بل الأَوْلَىٰ أن تسمىٰ: حرية الكفر.

تكميل:

قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: «ويستثنىٰ من عموم قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥]. صور:

منها: أن يقتل الوالد ولده؛ فالجمهور علىٰ ألا يقتل به، وصح ذلك عن عمر رضي الله عنه، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجوه متعددة.

ومنها: أن يقتل الحر عبدًا، فالأكثرون علىٰ أنه لا يقتل به.

ومنها: أن يقتل المسلم كافرًا، فإن كان حربيًّا لم يقتل بغير خلاف؛ لأن قتل الحربي مباح بلا ريب، وإن كان ذميًّا أو معاهدًا؛ فالجمهور علىٰ أنه لا يقتل به أيضًا.

وفي صحيح البخاري: عن علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا يُقتل مسلم بكافر**». اهـ مختصرًا.

وقال أيضًا: «وحديث ابن مسعود رضي الله عنه لفظه لا اختلاف فيه، وهو ثابت متفق علىٰ صحته.

ولكن يقال علىٰ هذا: إنه ورد قتل المسلم بغير إحدىٰ هذه الخصال الثلاث:

فمنها في اللواط: وقد جاء من حديث ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**اقتلوا الفاعل والمفعول به**».

ومنها: من أتىٰ ذات محرم، وقد روي الأمر بقتله، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قتل من تزوج بامرأة أبيه.

ومنها: الساحر، وهو مذهب جماعة من العلماء: منهم عمر بن عبد العزيز، ومالك، وأحمد، وإسحاق؛ ولكن هؤلاء يقولون: إنه يكفر بسحره، فيكون حكمه حكم المرتد.

ومنها: قتل من وقع علىٰ بهيمة، وقد وقع في حديث مرفوع، وقال به طائفة من العلماء.

ومنها: بترك الصلاة، فإنه يقتل عند كثير من العلماء، مع قولهم: إنه ليس بكافر.

ومنها: قتل شارب الخمر في المرة الرابعة، وقد ورد الأمر به عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، وأخذ بذلك عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ وغيره.

وقد روي قتل السارق في المرة الخامسة، وقيل: إن بعض الفقهاء ذهب إليه.

ومنها: ما روي عنه ﷺ: أنه قال: «**إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخِرَ منهما**».

ومنها: قوله ﷺ: «**من أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجل واحد، فأراد أن يشق عصاكم، أو أن يفرق جماعتكم؛ فاقتلوه**». وفي رواية: «**فاضربوا رأسه بالسيف، كائنًا من كان**».

ومنها: من شهر السلاح؛ فخرَّج النسائي من حديث ابن الزبير ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**من شهر السلاح ثم وضعه؛ فدمه هدر**».

ومنها: قتل الجاسوس المسلم إذا تجسس للكفار علىٰ المسلمين.

واستدل من أباح قتله بقول النبي ﷺ في حقِّ حاطب بن أبي بلتعة؛ لما كتب الكتاب إلىٰ أهل مكة يخبرهم بسير النبي ﷺ إليهم، ويأمرهم بأخذ حذرهم، فاستأذن عمر في قتله؛ فقال: «**إنه شهد بدرًا**».

فلم يقل: إنه لم يأت بما يبيح دمه، وإنما علَّل بوجود مانع من قتله؛ وهو شهوده بدرًا، ومغفرة الله لأهل بدر، وهذا المانع منتف في حقِّ من بعده» اهـ مختصرًا.

تنبيه:

قال ابن دقيق العيد في «إحكام الأحكام» (ص٦٠٢): «وقد استدل بهذا الحديث علىٰ أن تارك الصلاة لا يقتل بتركها؛ فإن تركها ليس من هذه الأسباب».

ومثله ابن الملقن في «الإعلام» (٩/ ٤٩).

قلت: وهو استدلال فيه نظر؛ لأن تارك الصلاة إما أن يكون جاحدًا لها، أو متكاسلًا عنها: فأما الأول؛ فهو كافر بالإجماع، ومرتد عن دينه باتفاق؛ فدمه هدر.

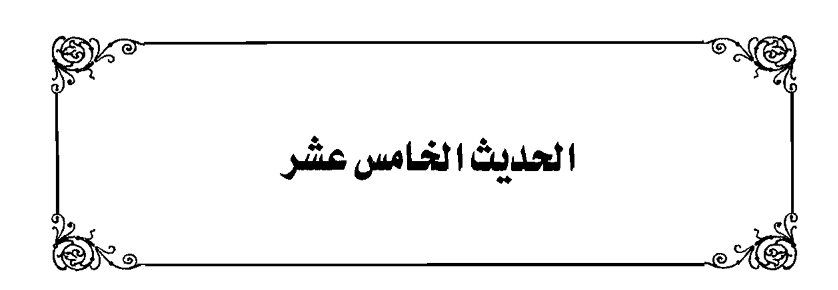
وأما المتكاسل؛ فإنه يؤمر بها، فإن صلىٰ؛ فبها ونعمت، وإن امتنع وأبىٰ: عُرض علىٰ السيف؛ فإن اختار السيف؛ فلا شكّ في ردَّته ولا يتصور إيمانه، والله أعلم.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما حديث ابن مسعود: «**ولا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث**»؛ فهو حجة في قتل تارك الصلاة، فإنه جعل منهم

التارك لدينه، والصلاة ركن الدين الأعظم، ولاسيما إن قلنا بأنه كافر؛ فقد ترك الدين بالكلية، وأنه إن لم يكفر؛ فقد ترك عمود الدين».

لطيفة:

سئل بعض أهل العلم: لِمَ يُقتل الزاني المحصن رجمًا؟ فقال: لأنه هدم بيتًا؛ فبحجارته يرجم!!



الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيرَة ﷺ عَن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٥-فتح)، ومسلم (٤٧).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليفعل كذا وكذا: هذه الخصال من الإيمان.

ليصمت: ليسكت عن مقالة الشر.

فليكرم جاره: فلا يؤذ جاره.

فليكرم ضيفه: فليعط زائره حقه من القِرَىٰ.

* موضوع الحديث:

بيان بعض الآداب التي هي من خصال الإيمان الواجبة.

* الشرح الإجمالي:

هذا الحديث يبين فيه رسول الله ﷺ جملة من الآداب الإسلامية الواجبة، وهي:

١- السكوت عن الشر وإذاعته ونشره.

٢- إكرام الجار بإعطائه حقه والإمساك عن أذاه، فإن كان مسلمًا قريبًا؛ فله ثلاثة حقوق: الجوار والإسلام والقرابة، وإن كان مسلمًا؛ فله حقان: الإسلام والجوار، وإن كان كافرًا؛ فله حق واحد: حق الجوار.

٣- إكرام الضيف؛ فإذا نزل بك ضيف وأنت حالٌّ ببلدك مستقر ببيتك وهو مار؛ فهو غريب محتاج إلىٰ القِرىٰ والإكرام والبشاشة.

فقه الحديث:

١- إلحاق الضرر بالجار قولًا أو فعلًا مناف لكمال الإيمان، ومناقض لصفات عباد الرحمن.

٢- للضيف حق؛ فينبغي علىٰ المسلم أن يقري ضيفه، ويَهَشُّ في وجهه، ويهيئ له نُزلًا، والواجب في الضيافة يوم وليلة وما بعده تطوَّع.

٣- الكلام إما خير أو شر، فمن علم خيرًا؛ فليقل بعد تفكر وتحقق.

٤- الصمت خير من الكلام الذي لا فائدة فيه.

ينبغي علىٰ العبد مراقبة لسانه، فإنه لا يكبّ الناس علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

٥- رعاية الإسلام لهذه الحقوق يدل علىٰ كماله وشموله، وأنه متضمن حق الله وحق الناس وحق النفس.

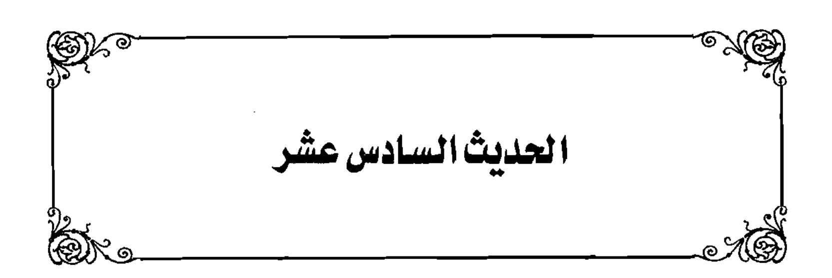
٦- الأعمال الصالحة من الإيمان، وهذا ردٌّ صريح علىٰ المرجئة الذين يخرجون العمل من الإيمان.

٧- لا يصحّ نفي الإيمان؛ لانتفاء كماله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...**»؛ لأن نفي الإيمان علىٰ قسمين:

نفي مطلق: وبه يصبح الإنسان كافرًا خارجًا عن الإسلام.

ومطلق نفي: وبه يبقىٰ الإنسان مسلمًا معه أصل الإيمان؛ لكنه مقتصد أو ظالم لنفسه، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح، والإنسان قد يجتمع فيه خصال الإيمان وخصال الكفر.





الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». فَرَدَّدَ مِرَارًا. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١٠/ ٥١٩-فتح).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

أوصني: بوصية جامعة لخير الدنيا والآخرة.

*** موضوع الحديث:**

النهي عن الغضب.

*** الشرح الإجمالي:**

هذا الرجل طلب من النبي ﷺ وصية وجيزة جامعة لخصال الخير؛ ليحفظها عنه؛ خشية ألا يحفظها لكثرتها؛ فأوصاه النبي ﷺ: ألا يغضب، ثم ردد

هذه المسألة عليه مرارًا، والنبي ﷺ يردد عليه الجواب نفسه، مما يدل علىٰ أن الغضب جماع الشر، وأن التحرر منه جماع الخير.

فإن قيل: لِمَ عدل النبي ﷺ عن الوصية بتقوىٰ الله التي هي وصية الله للأولين والآخرين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] إلىٰ قوله: «**لا تغضب**».

فالجواب: -والله أعلم- أن رسول الله ﷺ علم من حال هذا الرجل أنه كثير الغضب أو سريعُهُ أو شديدُهُ؛ فأوصاه بهذه الوصية الجامعة؛ ليكون قويًا في طاعة الله شديد الحرص علىٰ مرضاته؛ فليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

وليس المراد النهي عن الغضب الذي هو من طبائع البشر، وإنما املك نفسك عند الغضب بحيث لا تنفذ ما يقتضيه الغضب من شر ومعصية؛ لأن الغضب حمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، فلهذا تجده تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، وربما يذهب شعوره بسبب الغضب، ويفعل أشياء لا تحمد عقباها، فيندم ندمًا شديدًا علىٰ ما حصل منه.

*** فقه الحديث:**

١- إعطاء النصيحة وبذلها لمن طلبها، بل هي حق للمسلم علىٰ أخيه.

٢- في تكرير النصيحة منفعة للمنصوح؛ لأن في الإعادة إفادة وسعادة.

٣- عظم مفسدة الغضب وما ينشأ عنه، وأنه لا يأتي بخير إلا إذا كان لله.

٤- ذم الغضب والبعد عن أسبابه؛ لأن التحرز منه جماع الخير.

٥- الغضب المذموم ما كان في أمور الدنيا، والغضب المحمود ما كان لله ولنصرة دينه، وكان -عليه الصلاة والسلام- لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله.

٦- وكان النبي ﷺ يأمر من غضب بتعاطي أسباب تدفع عنه الغضب وتسكنه.

ودُونَكَ بَعضَها:

أ- أمر النبي ﷺ من غضب بالاستعاذة من الشيطان الرجيم.

ب- أمر النبي ﷺ من غضب بالسكوت، ففي حديث عبد الله بن عباس الصحيح بشواهده عن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**».

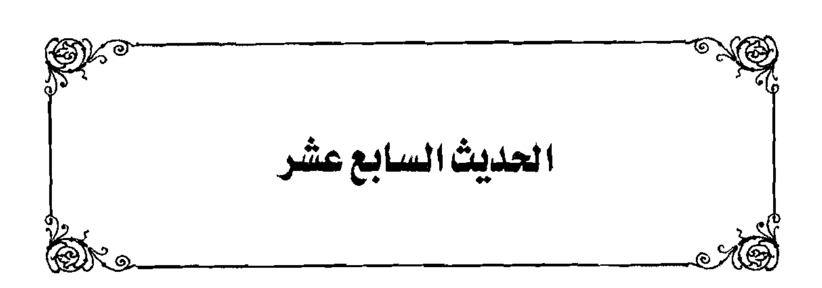
وهذا تضييق لدائرة الغضب؛ لأن الغضبان يصدر منه حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه؛ فإذا سكت زال هذا الشر كله.

ت- أمر النبي ﷺ من غضب بالجلوس أو الاضطجاع، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم؛ فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب؛ وإلا فليضطجع**».

وقبل ذلك كله وبعده ينبغي على العبد أن يملك نفسه ولا يجعلها طريقًا للشيطان، فقد غضب عمر بن عبد العزيز يومًا، فقال له ابنه عبد الملك -رحمهما الله-: «أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟

فقال له: أوَما تغضب يا عبد الملك؟ فقال له عبد الملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردِّد فيه الغضب حتىٰ لا يظهر».

٧- ينبغي للمفتي والمعلم والداعي إلىٰ الله أن يراعي حال المستفتي وحال المتعلم وحال المدعو، وأن يخاطبه بما يقتضيه حاله.



الحديث السابع عشر

١٧- عَنْ أَبِي يَعْلَىٰ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ؛ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ؛ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (١٩٥٥).

*** راوي الحديث:**

هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، وهو ابن أخي حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ، كان عابدًا من الذين أوتوا العلم والحلم، أخرج له الجماعة، نزل بيت المقدس، توفي سنة (٥٨هـ).

*** غريب الحديث:**

كتب: فرض وشرع.

الإحسان: إتقان العمل أو التفضل والإنعام، وهو ضد الإساءة.

علىٰ كل شيء: في كل شيء.

إذا قتلتم: حين القتل من بني آدم مما يباح قتله من الحيوانات.

القِتلة: هيئة القتل وحالته.

الذِّبحة: هيئة الذبح.

شفرته: سكينه العريضة.

*** موضوع الحديث:**

الإحسان عام في كل شيء، ويعمّ كلّ حيّ.

*** الشرح الإجمالي:**

في هذا الحديث يبين رسول الله ﷺ منزلة الإحسان وعظمتها، وأنه ليس خاصًّا في بني الإنسان، بل هو عام في كل شيء ويعم كل حي.

وحينئذ فهذا الحديث نص في وجوب الإحسان، وقد أمر الله تعالىٰ به، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠]. وقال: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥].

وهذا الأمر بالإحسان تارة يكون للوجوب؛ كالإحسان إلىٰ الوالدين والأرحام بمقدار ما يحصل البر والصلة، والإحسان إلىٰ الضيف بقدر ما يحصل به قراه علىٰ ما سبق ذكره، وتارة يكون للندب؛ كصدقة التطوع ونحوها.

وهذا الحديث يدل علىٰ وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنة:

الإتيان بها علىٰ وجه كمال واجباتها، فهذا القدر من الإحسان فيها واجب،

وأما الإحسان فيها بإكمال مستحبَّاتها؛ فليس بواجب.

والإحسان في ترك المحرمات:

الانتهاء عنها، وترك ظاهرها وباطنها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام:١٢٠]؛ فهذا القدر من الإحسان فيها واجب.

وأما الإحسان في الصبر علىٰ المقدورات؛ بأن يأتي بالصبر عليها علىٰ وجهه من غير تسخُّط ولا جزع.

والإحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيام بما أوجب الله من حقوق ذلك الواجب في ولاية الخلق وسياستهم القيام بواجبات الولاية كلها، والقدر الزائد علىٰ الواجب في ذلك كله إحسان ليس بواجب.

والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدَّوابِّ: إزهاق نفسه علىٰ أسرع الوجوه وأسهلها وأرجاها من غير زيادة في التعذيب؛ فإنه إيلام لا حاجة إليه.

وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في هذا الحديث، ولعله ذكره علىٰ سبيل المثال، أو لحاجته إلىٰ بيانه في تلك الحال؛ فقال: «**إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**».

والقِتلة والذِّبحة بالكسر: أي الهيئة، والمعنىٰ: أحسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل.

وهذا يدل علىٰ وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها علىٰ أسهل الوجوه.

وقد حكىٰ ابن حزم الإجماع علىٰ وجوب الإحسان في الذبيحة.

*** فقه الحديث:**

١- ينبغي الإحسان إلىٰ كلِّ الخلق، والرفق بهم، والشفقة عليهم.

٢- يجب الإتقان في كلِّ الأعمال، لكن كلّ شيء بحسبه؛ فالواجبات الظاهرة والباطنة علىٰ وجه كمال واجباتها، والمحرمات في الانتهاء عنها.

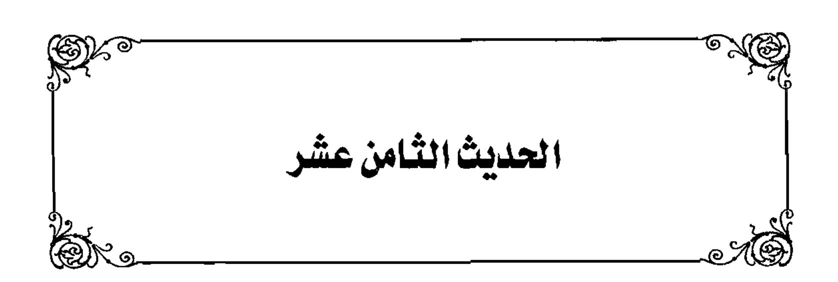
٣- ينبغي الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها علىٰ أسهل الوجوه، ولذلك لا يجوز تعذيب الحيوان عند ذبحه، ولا التمثيل بالميت المحارب؛ فقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن المُثلة؛ كما أخرجه البخاري في حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه.

٤- دليل علىٰ رحمة الله عز وجل وسماحة الإسلام مما يورث محبة الله تعالىٰ والتمسك بهذا الدين العظيم.

من أساليب التعليم النافعة: ذكر القاعدة ثم ضرب مثالًا لها أو مثالين.

فالقاعدة في هذا الحديث: «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء».

والمثالان هما: **«إذا قتلتم؛ فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم؛ فأحسنوا الذبحة».**



الحديث الثامن عشر

١٨- عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ الغِفَارِيِّ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

* **توثيق الحديث:**

صحيح بشواهده: أخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٦)، وأحمد (٥/ ٢٢٨ و٢٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥١٦-٥١٧)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٩٢)، والاوسط (١/ ٢٢١/ ب)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٧٦)، ووكيع في «الزهد» (١٠٧٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٥)، وابن جُميع الصيداوي في «معجم الشيوخ» (٨٨) من طرق عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ مرفوعًا.

قلت: ميمون بن أبي شبيب صدوق كثير الإرسال، ومن دونه ثقة كثير الإرسال والتدليس، وهذا إسناد منقطع؛ لأن ميمونًا لم يسمع من معاذ، فقد نقل الحافظ في «التهذيب» (١٠/ ٣٨٩): «عن عمرو بن علي... وليس يقول في شيء

من حديثه: سمعت، ولم أخبر أن أحدًا يزعم أنه سمع من الصحابة، وقال أبو داود: لم يدرك عائشة».

وعلق الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧)؛ فقال: «وحينئذ لم يدرك معاذًا من باب أولىٰ».

لكن للحديث طريق آخر عن مجاهد عن معاذ؛ أخرجه أبو بكر البزار الشافعي في «الغيلانيات» (٤/ ٤٨/ أ).

فحديث معاذ ﷺ حسن بطريقيه؛ كما قال الذهبي، حيث نقل قوله، وأقره المناوي في «فيض القدير» (١/ ١٢١).

وأما حديث أبي ذر ﷺ؛ فأخرجه الترمذي (١٩٨٧) -وصححه ووافقه ابن العربي في «عارضة الأحوذي» (٨/ ١٥٤)-، وأحمد (٥/ ١٥٣ و١٥٨ و١٧٧)، والدارمي (٢/ ٣٢٣)، والحاكم (١/ ٥٤) -وصححه علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وتعقبه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧) فأصاب-، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٧٨)، وقال: «غريب من حديث ميمون عن أبي ذر»، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٣٧٩)، وابن أبي شيبة (٨/ ٥١٦) من طرق عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن أبي ذر مرفوعًا.

قلت: وهذا إسناد منقطع؛ كما بينت في حديث معاذ ﷺ.

لكن لبعضه طرق أخرىٰ:

الأولىٰ: عن الأعمش، عن شمر، عن أشياخه، عن أبي ذر به.

أخرجه أحمد (٥/ ١٦٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٠٧).

وقال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣/ ٣٦١): «وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات، غير أشياخ شمر، فلم يسموا؛ لكنهم جمع ينجبر الضعف بعددهم؛ كما قال السخاوي في غير هذا الحديث».

الثانية: أخرج أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٨): حدثنا أبو عمرو بن حمدان: ثنا الحسن بن سفيان: ثنا عقبة بن مكرم: ثنا يونس بن بكير، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر به.

قال شيخنا (٣/ ٣٦١): «وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، ووالد إبراهيم اسمه يزيد بن شريك التيمي».

وله شواهد أخر:

الأول: حديث أنس رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلىٰ اليمن، فقال: «**يا معاذ، اتق الله، وخالق الناس بخلق حسن، وإذا عملت سيئة؛ فأتبعها حسنة**».

أخرجه ابن الأبار في «معجمه» (٥٠-٥١) من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت عنه به.

وعزاه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٨) إلىٰ ابن عبد البر في «التمهيد» بإسناد فيه نظر.

وعزاه السيوطي إلىٰ ابن عساكر، وقال المناوي في «فيض القدير» (١/

١٢١): «بسند ضعيف».

ثانيًا: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥١٧) عن وكيع، عن إسماعيل، عن حكيم بن جابر، قال: قال رجل لرجل: أوصني، قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وخلاصة الكلام: أن الحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده، والله أعلىٰ وأعلم.

*** راوي الحديث:**

هو أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان الغفاري، صاحب رسول الله ﷺ، وأحد السابقين الأولين في الإسلام، كان آدم طويل القامة، كثّ اللحية، رأسًا في الزهد والصدق، والعلم والعمل، قوَّالًا بالحق لا تأخذه لومة لائم، وفي فضائله أحاديث كثيرة ومناقبه شهيرة، توفي بالربذة في خلافة عثمان بن عفان سنة اثنتين وثلاثين، وصلىٰ عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأخرج له الجماعة.

وأما معاذ بن جبل؛ فهو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن، شهد بيعة العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأردفه رسول الله وراءه، وبعثه داعيًا إلىٰ اليمن بعد غزوة تبوك.

وهو عالم الصحابة في الحلال والحرام، وإمام العلماء يوم القيامة.

ومناقبة كثيرة وفضائله وفيرة جعلت الرسول ﷺ يقول له: «**يا معاذ والله إني لأحبك**».

وقد أثنىٰ عليه الصحابة، حتىٰ قال عمر بن الخطاب ﷺ: «عجزت النساء أن تلد مثل معاذ».

توفي ﷺ في طاعون عمواس بناحية الأردن في بلاد الشام المحروسة سنة ثماني عشر، ودفن بغور الأردن.

*** غريب الحديث:**

اتق الله: اجعل بينك وبين عقابه وسخطه وغضبه وقاية.

حيثما كنت: في أي مكان كنت، في السر والعلن، في خلوتك وجلوتك.

أتبع: ألحق.

تمحها: تزيلها.

خالق: عاملهم وخالطهم.

*** موضوع الحديث:**

الحث علىٰ تقوىٰ الله ومكارم الأخلاق.

*** الشرح الإجمالي:**

هذه وصية عظيمة جامعة لجميع الحقوق الواجبة علىٰ المسلم:

حق الله علىٰ عباده: أن يتقوه حق تقاته: «**اتق الله حيثما كنت**».

وحق العباد: أن يعامَلوا بالإحسان والفضل: «**وخالق الناس بخلق حسن**».

وحق النفس علىٰ صاحبها: أن يزكيها ويطهرها وينقيها من أدرانها: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**».

* فقه الحديث:

١- استحباب وصية المسلم لأخيه وتذكيره بما يجب عليه نحو ربه ونفسه وإخوانه المسلمين؛ فإن التواصي بالحق وبالصبر والمرحمة ميثاق إسلامي أخذه الله ورسوله علىٰ المؤمنين؛ كما في سورة العصر، وحديث جرير بن عبد الله الصحيح: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

وما ذلك إلا لأن النصيحة محصلة لغرض الدين؛ فهي لبابه وعنوان بابه ومن خلالها تظهر صورة الأمة المترابطة ذات الشعور الواحد المتميز، وهي إشعار بوحدة الهدف والغاية والأخوة في العبء والأمانة حيث تتضاعف المقدرة علىٰ الثبات علىٰ الحق.

٢- ينبغي للعبد أن يراقب مولاه في جميع أحواله وأوقاته.

٣- الحسنة تمحو السيئة، وهذا في غير المعاصي المتعلقة بحقوق الناس.

٤- من حسن الخلق: طلاقة الوجه، وكف الأذىٰ، وبذل المعروف، ومعاملة الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك.

٥- والحديث وصية عظيمة من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ، فقد جمع لمعاذ ﷺ الحقوق الواجبة عليه، وبيَّن له سبيل الترقي في مدارج المؤمنين الخلَّص الذين استكملوا الإيمان:

أما الحقوق الواجبة علىٰ العبد، فهي حقوق الله، وحقوق النفس، وحقوق عباد الله، فحقوق الله علىٰ عباده: أن يتقوه حق تقاته، وحقوق النفس: أن يطهرها

صاحبها ويزكيها، وحقوق العباد: أن يعاملهم ويخالطهم بخلق حسن.

وأما سبيل الكمال في ذلك؛ فقد أمره الرسول ﷺ بتقوىٰ الله في السر والعلن، وهذا موجب الخشية، ومن علم أن الله يراه في باطنه وظاهره واستحضر ذلك في خلوته؛ أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر.

ثم أمره أن يفعل ما يمحو السيئات؛ لأن العبد لما كان مأمورًا بالتقوىٰ في السر والعلن، مع أنه لابدّ منه أحيانًا من تفريط في التقوىٰ إما بترك بعض المأمورات، أو ارتكاب بعض المحظورات؛ فكل ابن آدم خطاء، فأمره رسول الله ﷺ بإحداث الحسنات بعد السيئات؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤].

٦- في الحديث تأصيل لمراقبة الله تعالىٰ في كل الأحوال والأحيان.

٧- تقوىٰ الله لا يحدّها زمان ولا يقيدها مكان، بل هي مطلوبة دائمًا.

٨- سعة رحمة الله سبحانه بعباده؛ فهو يفتح أبوابًا كثيرة لمحو السيئات وتكفير الخطايا، ومنها: فعل الحسنات.

٩- ينبغي أن يكون العبد بين مقامي الخوف والرجاء، فتقوىٰ الله تربي المسلم علىٰ مقام الخوف، وفتح باب التوبة يربي المسلم علىٰ مقام الرجاء.

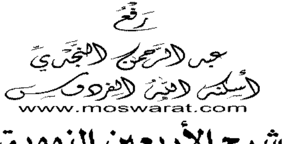
١٠- حرص الإسلام علىٰ زوال العداوات من الشحناء والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم؛ لذلك أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

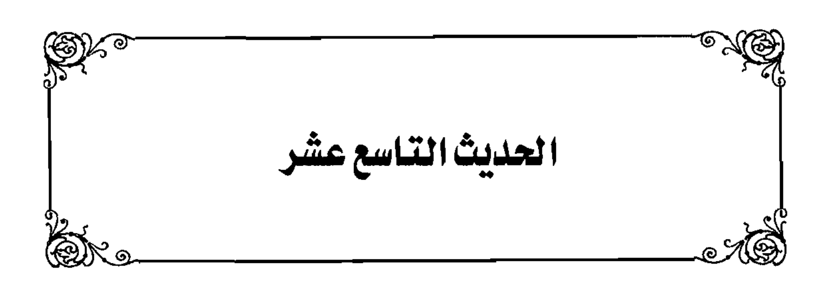
١١- الحديث يربي المسلم علىٰ المبادرة في فعل الخيرات، وألا يكون العبد تابعًا لغيره.

١٢- مكارم الأخلاق تبذل مطلقًا سواء أحسن إليك الناس أو أساءوا، ولذلك أطلقها رسول الله ﷺ فقال: «**وخالق الناس**»؛ أي: جميع الناس، «**بخلق حسن**». بكل خلق حسن جميل.

١٣- أهل الإسلام أحق من غيرهم من الأمم بمكارم الأخلاق؛ ولذلك قال ﷺ: «**إنما بعثت؛ لأتمم مكارم الأخلاق**».

وكذلك أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح أولىٰ من غيرهم من أهل القبلة بذلك؛ فإن مكارم الأخلاق ركن في المنهج السلفي وركيزة من ركائز الدعوة السلفية المباركة.





الحديث التاسع عشر

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ؛ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

* توثيق الحديث:

صحيح: وله عنه سبع طرق في ألفاظها اختلاف، وأجود أسانيده من طريق حنش الصنعاني، عن ابن عباس، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ، فقال: (وذكره).

أخرجه الترمذي (٢٦٣٥-تحفة) -واللفظ له-، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وابن وهب في «القدر» (٢٨)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (2556)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٧)، والطبراني في «الدعاء» (٤٢) من طريق ليث بن سعد، عن قيس بن الحجاج عنه به.

قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

وأخرجه أحمد (١/ ٣٠٣ و٣٠٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٩٧).

واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠٩٤ و١٠٩٥) من طرق أخرىٰ عن قيس بن الحجاج به.

وتابعه يزيد بن أبي حبيب، عن حنش به: أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص١٩٨).

قلت: وإسناده صحيح.

وبقية طرقه وشواهده لا تخلو من ضعف، والاعتماد علىٰ ما تقدم، والله أعلم.

وشرح هذا الحديث أفرده الحافظ ابن رجب بجزء لطيف، وهو الموسوم بـ «نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس»؛ فانظره؛ فإنه نفيس.

وهو حديث عظيم يتضمن وصايا جامعة وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتىٰ قال ابن الجوزي في «صيد الخاطر»: «تدبرت هذا الحديث؛ فأدهشني،

وكدت أطيش، فوا أسفا من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهم لمعناه».

وأقره الحافظ ابن رجب في كتابه «نور الاقتباس».

* **راوي الحديث:**

هو أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، وحبر الأمة، وبحر العلم، وترجمان القرآن، وأحد العبادلة الأربعة، ومن أبرز علماء الصحابة.

روىٰ عنه جمع من الصحابة وخلق من التابعين.

وأحاديثه منتشرة مشتهرة في «الصحيحين»، و«السنن»، و«المسانيد»، ودواوين الإسلام المطبوعة والمخطوطة.

وفضائله كثيرة شهيرة؛ فقد روىٰ البخاري (٣٧٥٦): أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم علمه الكتاب**»، وعند مسلم (٢٤٧٧): «**اللهم فقهه في الدين**».

وقال فيه عمر رضي الله عنه: «ذاكم فتىٰ الكهول، له لسان سئول، وقلب عقول».

ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين عن إحدىٰ وسبعين سنة.

* **غريب الحديث:**

كنت خلف النبي ﷺ: أي راكب معه، أو أنه يمشي خلفه.

غلام: الصبي من حين يفطم إلىٰ البلوغ.

كلمات: جمعت للقلة؛ لتسهيل حفظها، ونُوِّنت إيذانًا بعظيم خطرها.

احفظ الله: احفظ دينه بملازمة تقواه، واجتناب ما لا يرضاه؛ وحفظ العبد لدين الله علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: حفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه؛ كحفظ الصلوات والصلاة الوسطىٰ، وحفظ الإيمان، وحفظ الوضوء والمحافظة عليه.

الثانية: حفظ جوارح الإنسان؛ كالبصر والفرج والسمع والبطن واللسان.

يحفظك: رعاك وحماك وقوَّاك ونصرك، وحفظ الله للعبد يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه في مصالحه؛ كدنياه وبدنه وولده وأهله وماله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد:١١].

الثاني: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه؛ فيحفظه من الشبهات المضلة، والشهوات المحرقة؛ فاللهم احفظنا بما تحفظ به عبادك الصالحين.

تجاهك: معك في كل أحوالك، يحوطك، وينصرك، ويحفظك، وهذه المعية الخاصة التي تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة.

استعنت: طلبت الإعانة.

الأمة: جميع المخلوقين.

رفعت الأقلام وجفت الصحف: تركت الكتابة بها؛ لفراغ الأمر وانبرامه منذ أمد بعيد، فقد تقدم كتابة المقادير كلها.

الرخاء: النعمة.

الفرج: الخروج من الغم والكرب.

* موضوع الحديث:

كلمات نافعة ووصايا جامعة.

* الشرح الإجمالي:

هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين:

١- حفظ حدود الله وشريعته بفعل المأمورات وترك المحظورات؛ فإن فعلت ذلك حفظك الله في دينك وأهلك ومالك وعرضك ونفسك؛ فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ومن لم يفعل؛ فليس من الله في شيء.

٢- من حفظ الله وجده معه يهديه إلىٰ خير ويرشده إلىٰ كل نافع، ويدفع عنه كل شر وسوء.

٣- إذا سألت حاجة؛ فاسأل الله ﷻ، ولا تسأل المخلوق شيئًا، وإذا سألت المخلوق شيئًا يقدر عليه؛ فاعلم أنه سبب من الأسباب، فلا يتعلق قلبك به؛ لأن المسبب هو الله ﷻ؛ فعليه؛ فاعتمد، وبه ثق، وإليه فوِّض أمرك.

٤- إذا أردت العون أو طلبته من أحد؛ فلا تطلبه إلا من الله؛ لأن ملكوت السموات والأرض بيده، وله الخلق والأمر، وهو في عون العبد ما أخلص العبد دينه لله، وإذا استعنت بعبد فيما يقدر عليه ويستطيعه؛ فاعتقد أنه سبب سخره الله إليك.

٥- النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له، فلو اجتمع الإنس والجن من أولهم إلىٰ آخرهم علىٰ أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك،

ولذلك؛ فالنفع الذي يأتي للإنسان من الخلق إنما هو في الحقيقة من الله؛ لأنه هو الذي كتبه وسهله.

٦- وكذلك لو اجتمع الإنس والجن من أولهم إلىٰ آخرهم علىٰ أن يضروك ما نالك من ضررهم شيء إلا أمر قد كتبه الله عليك؛ فارض بقضاء الله وقدره، حلوه ومره، ولا حرج عليك أن تدفع ما يضرك بالأسباب المشروعة؛ فإن الله جعل لكل داء دواء.

٧- ما كتبه الله قد انتهىٰ، وما قدره ماض لا رادَّ لحكمه؛ فالأقلام رفعت، والصحف جفت، ولا تبديل لكلمات الله.

*** فقه الحديث:**

١- جواز الإرداف علىٰ الدابة؛ فقد أردف رسول الله ﷺ أيضًا معاذًا علىٰ حماره عفير؛ كما في «الصحيحين»، ولابن منده فيمن أردفه النبي جزء مفرد.

٢- استحباب تعليم الناس العلم النافع بالكلام المختصر المفيد الجامع.

٣- الحرص علىٰ ناشئة المسلمين؛ لأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر.

٤- الجزاء من جنس العمل؛ فمن حفظ الله حفظه، وهذا في القرآن كثير كقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠]، وقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]، بل جاء صريحًا في قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠].

٥- الله سبحانه يتفضل علىٰ عباده ويزيدهم؛ فمن حفظ الله حفظه وكان

معه، ومن نصر الله نصره وثبت قدمه، وهذا الأصل في معاملة الله لعباده صريح في قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

٦- ينبغي علىٰ العبد أن يقف عند حدود الله؛ فلا يتعداها، ويعظمها، ويستسلم لأمر ربه ظاهرًا وباطنًا.

٧- تحريم سؤال غير الله تعالىٰ مما لا يقدر عليه إلا هو، كالرزق والشفاء والمغفرة والنصر وغيرها، أما ما جرت عليه عادة الناس أن يتعاونوا فيه مما يقدرون عليه؛ فلا مانع من سؤالهم، كالاستعارة والاستقراض والاسترشاد وغير ذلك.

٨- ما في علم الله تعالىٰ، أو ما أثبته سبحانه في أم الكتاب، ثابت لا يتبدل ولا يتغير ولا يُنسخ، وما وقع وما سيقع كله بعلمه تعالىٰ.

٩- من لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر؛ أن الكرب إذا اشتد وتناهىٰ أيس العبد من جميع المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل علىٰ الله.

وهو من أعظم ما تطلب به الحوائج، ومن توكل علىٰ ربه كفاه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣].

١٠- العباد كلهم مفتقرون إلىٰ الله؛ ولذلك يجب علىٰ العبد أن يرضي الله ولو أسخط الناس؛ فمن فعل ذلك كفاه الله مؤنة الناس.

١١- لا يستطيع العبد أن يجلب لنفسه نفعًا ولا يدفع ضرًّا إلا بإذن الله.

١٢- مكر الماكرين وإن كثروا لا يحيق إلا بأهله ما لم يُقدِّر الله البلاء للعبد.

١٣- الإيمان بالقدر حق واجب علىٰ العبد.

١٤- الجهاد في سبيل الله يحتاج إلىٰ الصبر والثبات، فمن صبر ظفر وانتصر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦].

١٥- في الحديث بيان خلق التواضع الذي كان يتحلىٰ به رسول الله؛ فقد أردف ابن عمه خلفه، ولم يستأثر بالدابة دونه.

١٦- فيه استحباب اللين مع الشباب وملاطفتهم والحرص علىٰ ما ينفعهم.

١٧- اختيار الجمل القصيرة والعبارات الواضحة والكلمات السهلة في حال تعليم الصغار؛ ليكون أسهل للحفظ وأيسر للفهم.

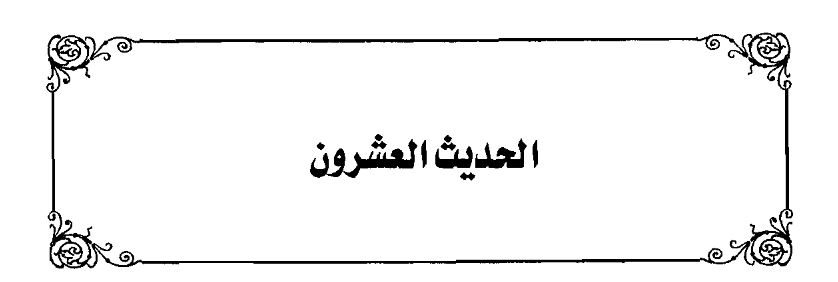
١٨- استحباب استعمال أسلوب التشويق والتنبيه في التعليم، كما فعل رسول الله ﷺ حيث قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام**»؛ فهذا تنبيه «**إني أعلمك كلمات**» وهذا تشويق.

١٩- ينبغي تعليم الصغار والناشئة أمور العقيدة؛ فهذه الكلمات مدارها علىٰ أمور التوحيد.

٢٠- هذه الكلمات تربي المسلم علىٰ معاني العزة والشجاعة والقوة؛ فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وكذلك القوة بالله جميعًا.

٢١- الحديث نص علىٰ أن أعمال القلوب؛ كالاستعانة، وكذلك أعمال الجوارح كالسؤال والدعاء من الإيمان.

٢٢- خطورة الاستعجال وأنه آفة الصبر، ولا يأتي بخير، فقد علَّق النصر بالصبر.



الحديث العشرون

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - عُقبَة بن عَمرو الأنصَارِي البَدرِي ﷺ-؛ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**». رواه البخاري.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (٦/ ٥١٥-فتح).

*** راوي الحديث:**

هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، مشهور بكنيته، اتفقوا علىٰ أنه شهد العقبة، وفي شهوده بدرًا اختلاف -والراجح: أنه شهده- كان من أصحاب علي ﷺ، واستخلف مرة علىٰ الكوفة، توفي بعد الأربعين، روىٰ له الجماعة.

*** غريب الحديث:**

مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ: من بقايا نبوة آدم ﷺ التي لم يطمسها التغيير والتبديل، وتناقلتها الكتب الإلهية.

إذا لم تستح فاصنع ما شئت: أورد العلماء فيه تفسيرات كثيرة، منها:

أ- هو أمر بمعنىٰ الخبر؛ لأن الذي يكف الإنسان عن مواقعة الشر هو الحياء؛

فإذا تركه كان كالمأمور بفعل كل محظور.

ب- هو تهديد؛ أي: اصنع ما شئت؛ فإن الله يجزيك.

ت- انظر إلىٰ ما تريد فعله؛ فإن كان مما لا يستحىٰ منه؛ فافعله، وإن كان مما يستحىٰ منه؛ فدعه.

ث- هو حث علىٰ الحياء وتنويه بفضله؛ أي: لما لم يجز صنع جميع ما شئت، لم يجز ترك الحياء.

*** موضوع الحديث:**

بيان فضل الحياء، وأنه خلق الإسلام في جميع الرسالات.

*** الشرح الإجمالي:**

واعلم أيها العبد الحييّ: أن هذه التوجيهات طيبة؛ لأنها تتمخض عن معان سامية شريفة، ولكن أقربها إلىٰ الحق: أنه أمر بمعنىٰ الخبر؛ فمن لا يستحيي يصنع ما يشتهي.

واعلم أيها الحيي أن من لزم الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة؛ كما أن الوقح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدومًا، وتواتر الشر منه موجودًا؛ لأن الحياء هو الحائل بين العبد وتلك المزجورات كلها؛ فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوىٰ مباشرته إياها.

ولله در القائل:

ورُبَّ قَبيحَةٍ ما حالَ بيني ... وبين رُكوبِها إلا الحياءُ

فكانَ هو الدَّواءَ لَهَا ولكن ... إذا ذهب الحياءُ فلا دواءُ

ولقد أحسن الذي يقول:

إذا رُزق الفتىٰ وجهًا وقاحًا ... تقلَّبَ في الأمور كما يشاءُ

ولم يك للدواء ولا لشيء ... يعالجه به فيه عناءُ

فما لك في معاتبة الذي لا ... حياء لوجهه إلا العناءُ

ولذلك من لزم الحياء صان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه هان علىٰ الله وعلىٰ الناس وعلىٰ نفسه.

وصدق القائل:

إذا لم تصن عِرضًا ولم تخش خالقًا ... وتستحي مخلوقًا فما شئت فاصنع

إذا كُنتَ تَأتِي المَرءَ تُعظِم حقَّه ... ويجهلُ مِنْكَ الحَقَّ فالصَّرم أَوْسَع

فقه الحديث:

١- الأمر بالحياء مأثور عن الأنبياء المتقدمين، وتداوله الناس بينهم، وورثوه عنهم قرنًا بعد قرن، وهذا يدل أن النبوة الأولىٰ جاءت بهذا الكلام، وأنه اشتهر بين الناس حتىٰ وصل إلىٰ أول هذه الأمة.

ولقد كانت العرب في جاهليتها الأولىٰ تستحي؛ فهذا أبو سفيان قبل إسلامه عندما وقف أمام هرقل ليسأله عن النبي ﷺ؛ فأخبر عن نفسه كما في حديثه الذي أخرجه البخاري فقال: «لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عليه».

وكان الحياء من ديدنهم كما يتضح من هذا السؤال الاستنكاري الذي وجهه أبو موسىٰ الأشعري لرجل من بني جشم عندما فر هاربًا؛ فقال في حديث أخرجه مسلم: «فلما رآني ولَّىٰ عني ذاهبًا؛ فاتبعته، وجعلت أقول له: ألا تستحي؟ ألست عربيًّا؟ ألا تثبت؟ فكف».

وقال عنترة:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتىٰ يواري جارتي مأواها

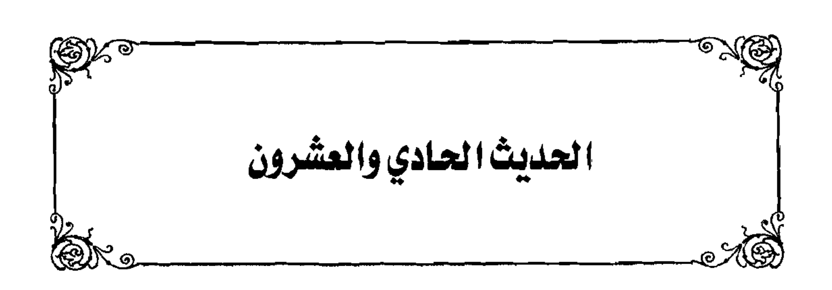
وكل هذه الأدلة والشواهد توحي بأهمية الحياء، وعمقه في الفطرة البشرية السليمة التي تنفر من القبيح والسوء.

٢- الحياء الشرعي هو الذي يأمر بالطاعة وينهىٰ عن القبيح، وأما الذي يتعارض مع الشرع فليس كذلك، وكذلك الانكسار عن طلب الحق خجل مذموم.

من دلالات هذا الحديث:

أ- الحياء من خصائص الإنسان حباه الله به؛ ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكون كالبهيمة.

ب- قواعد السلوك لا تتغير ولا تتبدل؛ لأنها محفورة في فطرة الإنسان، ولذلك قرر الأنبياء جميعًا هذه الخاصية؛ فتناقلتها الرسالات جميعًا من النبوة الأولىٰ إلىٰ النبوة الخاتمة.



الحديث الحادي والعشرون

عَنْ أَبِي عَمْرٍو -وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ- **سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله** ﷺ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٣٨).

وهو أحد الأحاديث التي عليها مدار الدين.

*** راوي الحديث:**

هو سفيان بن عبد الله الثقفي الطائفي؛ له صحبة، وكان عاملًا لعمر بن الخطاب علىٰ الطائف.

*** غريب الحديث:**

قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك: علمني كلامًا جامعًا لأمر الإسلام كافيًا حتىٰ لا أحتاج بعده إلىٰ غيره.

الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالىٰ، وهي نظام الأمور؛ لأنها سلوك الصراط المستقيم، ولزوم الدين القويم من غير تعويج يَمنة ولا يَسْرَة.

*** موضوع الحديث:**

الاستقامة هي الكرامة.

*** المعنىٰ الإجمالي:**

طلب سفيان بن عبد الله ﷺ من النبي ﷺ أن يعلمه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام، كافيًا لا يحتاج بعده إلىٰ غيره؛ فقال له رسول الله ﷺ: «**قل آمنت بالله، ثم استقم**»؛ أي: آمن بالله بقلبك، واشهد بلسانك؛ كما في الرواية الأخرىٰ: «**قل ربي الله**»، ثم استقم علىٰ هذا الإيمان بالأعمال الصالحة.

وهذا منتزع من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وكانت الاستقامة كافية شافية من وجوه:

١- لأنها تتضمن الدين كله، وتشمل كل ما أخبر الله به ﷻ عن نفسه، وعن اليوم الآخر، وعن رسله، وعن كل ما أرسل به.

٢- لأنها تتضمن الانقياد لأمر الله والثبات علىٰ منهجه.

٣- لأنها تشمل فعل المأمورات وترك المحظورات، ولذلك صارت جامعة للدين كله.

*** فقه الحديث:**

١- استحباب السؤال عن أمر يجمع خصال الخير.

٢- السؤال مفتاح العلم.

٣- ينبغي علىٰ من جهل أمرًا أن يسأل عنه أهل الذكر.

٤- ينبغي لطالب العلم أن يحرص علىٰ السؤال الجامع للخير.

٥- الإيمان قول وعمل.

٦- الاستقامة درجة عالية تدل علىٰ كمال الإيمان وعلو الهمة.

٧- حرص الصحابة علىٰ معرفة الخير وما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٨- علىٰ طالب العلم أن يختار السؤال الذكي؛ بخاصة إذا كانت فرصة الجواب لا تتكرر.

٩- الإيمان المجرد لا يكفي صاحبه بل لابدَّ من الاستقامة.

١٠- الاستقامة قرنت بالاستغفار ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ [فصلت:٦]، وهذا يدل علىٰ أن الاستقامة الحقيقية لا يبلغها أي أحد.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع العلوم والحكم»: «وقد أخبر النبيﷺ: أن الناس لن يستطيعوا الاستقامة حق الاستقامة».

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ، قال: «**سددوا وقاربوا**»، فالسداد هو حقيقة الاستقامة، وهو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، كالذي يرمي إلىٰ غرض فيصيبه.

والمقاربة أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه، ولكن بشرط أن يكون مصممًا علىٰ قصد السداد وإصابة الغرض، فتكون مقاربته عن

غير عمد.

فأصل الاستقامة القلب على التوحيد؛ كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ [الأحقاف:١٣]؛ بأنهم لم يلتفتوا إلىٰ غيره.

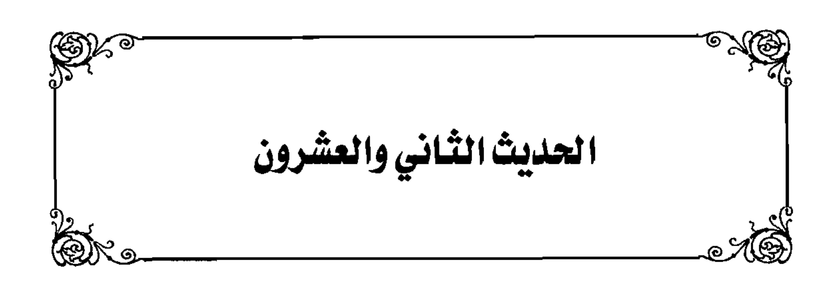
فمتىٰ استقام القلب علىٰ معرفة الله وعلىٰ خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه؛ استقامت الجوارح كلها علىٰ طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه، وكذلك فسر قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ ﴾ [الروم:٣٠] بإخلاص القصد لله وحده لا شريك له.

وأعظم ما يراعي استقامته بعد القلب من الجوارح: اللسان؛ فإنه ترجمان القلب، والمعبر عنه.

ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة وصَّاه بعد ذلك بحفظ لسانه.

ففي «مسند الإمام أحمد» بإسناد حسن عن أنس عن النبي ﷺ؛ قال: «**لا يستقيم إيمان عبد حتىٰ يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتىٰ يستقيم لسانه**».





الحديث الثاني والعشرون

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأَنْصَارِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِن صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

* توثيق الحديث:

أخرجه مسلم (١٥)، وزاد في آخره، قال: «والله لا أزيد علىٰ ذلك شيئًا».

* راوي الحديث:

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام: صحابي ابن صحابي ﷺ، شهد العقبة الثانية مع أبيه، غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، كما أخبر، ولم يشهد بدرًا وأُحدًا، من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، أخرج له الشيخان وأصحاب السنن والمسانيد، وأحاديثه ملأت دواوين الإسلام.

تفرغ للتدريس في المسجد النبوي، وعمِّر كثيرًا، مات في المدينة النبوية سنة أربع وسبعين، وأوصىٰ ألا يُصَلِّيَ عليه الحجاج بن يوسف الثقفي؛ لكنه شهد جنازته.

*** غريب الحديث:**

أرأيت: أخبرني.

إذا صليت المكتوبات: الفرائض الخمس.

وصمت رمضان: هو الشهر الذي بين شعبان وشوال.

أحللت الحلال: فعلته معتقدًا حله.

حرمت الحرام: اجتنبته معتقدًا حرمته.

أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: هو النعمان بن قوقل؛ كما عند مسلم.

*** موضوع الحديث:**

ما يُدخل الجنة.

الشرح الإجمالي:

في هذا الحديث يسأل النعمان بن قوقل رضي الله عنه رسول الله ﷺ أنه إذا صلىٰ الفرائض الخمس، وصام شهر رمضان، وأحل الحلال عملًا واعتقادًا، وحرم الحرام عملًا واعتقادًا ولم يزد علىٰ ذلك شيئًا هل يدخل الجنة؟ فأخبره رسول الله ﷺ بأنه إن فعل ذلك إيمانًا واحتسابًا دخل الجنة.

فإن قيل: لم يذكر في هذا الحديث الزكاة ولا الحج؟

فالجواب: أن ذلك يدخل في قوله: «**حرمت الحرام**»؛ لأن ترك الزكاة حرام، وترك الحج حرام.

* فقه الحديث:

١- حرص الصحابة علىٰ سؤال النبيﷺ.

٢- الغاية من هذه الحياة هو إقامة العبودية لله، والتي جزاؤها دخول الجنة.

٣- إقامة الصلوات وصوم رمضان وتحليل الحلال وتحريم الحرام من أسباب دخول الجنة.

٤- تفاوت الناس في مراتب الإيمان؛ فمنهم من يحرص علىٰ المقامات العليا، ومنهم من يسأل عما ينجيه، وهذا يؤكد مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان، وأنه يتفاضل ويزيد وينقص.

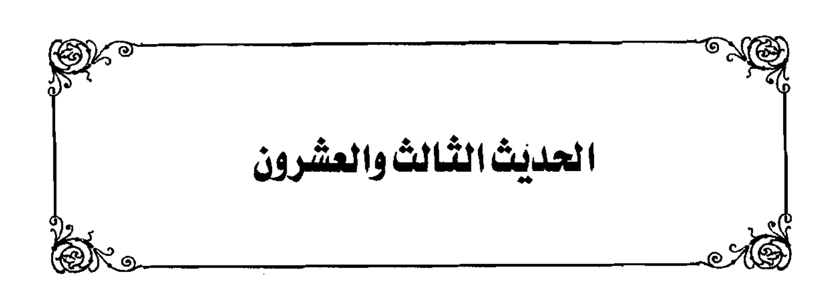
٥- ينبغي علىٰ المستمع أن يتنبه للأسئلة التي تطرح علىٰ الشيخ، ويحضر لها قلبه، ويسمعها بأذن واعية؛ ليجد فائدتها.

٦- معلم الناس الخير يراعي أحوال الناس، ولا يلزمهم بحالة واحدة ولا يهمل الفروق الفردية بينهم، ولذلك؛ فإن رسول الله ﷺ لم يزجر السائل ويلزمه بالنوافل، بل رضي منه الفرائض؛ لأنها تناسبه.

٧- العالم الفقيه: من لا يُقنِّط الناس من رحمة الله.

٨- التشريع والتحليل والتحريم من أمر الله ﷻ، فله الحكم وهو أحكم الحاكمين.

٩- فيه بيان فضل الفرائض، وأنها أحب ما تقرب به العبد إلىٰ ربه، ومن اقتصر عليها وداوم دخل الجنة بفضل الله ورحمته.



الحديث الثالث والعشرون

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِث بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطرُ الإِيْمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيْزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ -أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوْبِقُهَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٢٢٣).

*** راوي الحديث:**

هو أبو مالك الحارث بن عاصم الأشعري مشهور بكنيته وباسمه، صحابي جليل، غزا مع رسول الله ﷺ وأمَّره علىٰ بعض السرايا، وكان يعلم قومه صفة صلاة النبي ﷺ، شهد فتوح الشام، وتوفي في طاعون عمواس، وأخرج له الشيخان وأصحاب السنن.

*** غريب الحديث:**

الطهور: المراد الفعل؛ فهو مضموم الطاء المهملة علىٰ المختار، وهو قول

الأكثرين.

شطر: نصف.

تملأ الميزان: الذي توزن به الأعمال.

الصلاة نور: الصلاة تضيء لصاحبها طريق الحق في الدنيا والصراط في الآخرة عند المرور عليه.

الصدقة برهان: حجة على إيمان مؤديها.

الصبر ضياء: الضياء شدة النور. وبالصبر تنكشف الظلمات والكربات.

فمعتقها: مخلصها من العذاب.

موبقها: مهلكها بارتكابها المعاصي وبالبعد والحرمان.

*** موضوع الحديث:**

مراتب بعض الأعمال الصالحة.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر الرسول ﷺ أمته بمراتب بعض الأعمال الصالحة وفضائلها:

١- الطهارة نصف الإيمان، وذلك أن الإيمان تخلية وتحلية، أما التخلي فهو التخلي عن الإشراك؛ لأن الشرك نجس: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة:٢٨].

وكذلك الطهارة باب الصلاة الأعظم، والصلاة إيمان ولا تتم الصلاة إلا بطهور.

٢- وصف الله بالمحامد والكمالات الذاتية والفعلية تملأ ميزان الأعمال؛ لأنها عظيمة عند الله، ولهذا قالﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» أخرجه البخاري.

وهاتان الكلمتان تملآن ما بين السماء والأرض؛ لعظمهما واشتمالهما علىٰ تنزيه الله من كل نقص وتقديسه عن كل عيب، وفيهما إثبات الكمال لله ﷻ، ففي التسبيح تنزيه عن كل عيب، وفي الحمد وصف بكل كمال.

٣- الصلاة نور القلب، وإذا استنار القلب استنار الوجه، وهي كذلك نور للمؤمنين يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد:١٢].

٤- الصدقة دليل علىٰ صدق صاحبها، وأنه يحب الله ويحب ما يقرب إليه، وأن المال في يده وليس في قلبه، والمال محبوب إلىٰ النفوس؛ فمن صرف المال المحبوب في سبيل الله دل علىٰ أن الله أشد حبًّا منه؛ لأن المحبوب لا يصرف إلا في محبوب أعظم منه، ولذلك كانت الصدقة برهانًا علىٰ صحة إيمان العبد وقوة يقينه.

٥- الصبر بأقسامه الثلاثة: صبر علىٰ طاعة الله، وصبر علىٰ معصية الله، وصبر علىٰ أقدار الله، ضياء؛ أي: نور مع حرارة، ولذلك وصف الله الشمس بأنها ضياء ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس:٥]. فالشمس فيها نور وحرارة، وكذلك الصبر فيه نور وحرارة؛ لأنه شاق علىٰ النفس البشرية، فهي

تعاني منه كما يعاني الإنسان من حرارة الحار، لكن عواقبه أحلىٰ من العسل؛ ولذلك كان ضياء.

٦- القرآن حجة لصاحبه عند الله أو حجة عليه؛ فإن عمل به، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وأقام أحكامه؛ كان حجة له، وإن أعرض عنه؛ كان حجة عليه.

٧- ثم بيَّن رسول الله ﷺ أحوال العباد وثمار أعمالهم: فكل الناس يذهبون الصباح إلىٰ أعمالهم؛ فمنهم من يعتق نفسه؛ فينقذها؛ إن عمل صالحًا واستقام علىٰ أمر الله، ومنهم من يهلكها؛ إن أطاع الهوىٰ وآثر الحياة الدنيا: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

*** فقه الحديث:**

١- فضل الوضوء في الإسلام، وهو شرط صحة الصلاة؛ فصارت كالشطر، وليس يلزم منه أن يكون نصفًا حقيقيًّا.

٢- الأعمال يكون لها وزن يوم القيامة فتثقل وتخف، وهذا يثبت الميزان.

٣- بيان فضل الذكر وعظمة أجره؛ وذلك لأن فيه تنزيه الله ﷻ عن كل ما لا يليق به، وإظهار الافتقار له بقول: الحمد لله.

٤- الحث علىٰ الإكثار من الصلاة؛ لأنها نور يضيء للمسلم سبل السلامة في الحياة، ولأنها تحجب صاحبها عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلىٰ الصواب، وتصدُّ عن المهالك بما فيها من نور تقذفه في القلب وتضفيه علىٰ الجوارح.

٥- الإكثار من الصدقة دليل علىٰ صدق المؤمن وإخلاصه والتزامه بالشريعة.

٦- بيان فضل الصبر؛ وأنه أمر محمود لا يزال صاحبه مستضيئًا مهتديًا.

٧- القرآن الكريم والسنة الصحيحة معًا هما المصدر لجميع الأحكام الشرعية، فمن احتكم إليهما عند التنازع، واهتدىٰ بهما فهما له حجة يوم القيامة، ومن نبذهما وراء ظهره، فلا يلومنَّ إلا نفسه.

٨- لابد لكل إنسان من عمل يغدو له حتىٰ لا يترك نفسه هملًا، فالكيس من باع نفسه لله؛ فيخلصها من العذاب ويفوز، والعاجز من هلك وأهلك، وتمنىٰ علىٰ الله الأماني.

٩- الحرية الحقيقية هي العبودية لله الحق، وليست إطلاق الإنسان لنفسه العنان ليعمل كل شيء أراده.

قال ابن قيم الجوزية في النونية:

هربوا من الرق الذي خلقوا له   وبُلُوا بِرِقِّ النفس والشيطانِ

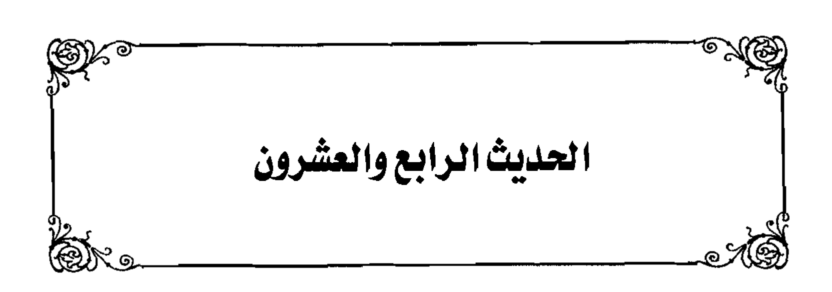
١٠- ينبغي للمؤمن أن يكون عالي الهمة، قلبه معلق بالآخرة وما عند الله، ولذلك نص رسول الله ﷺ أن الحمد يملأ الميزان.

١١- فيه دليل أن العبد له اختيار وإرادة، لقوله ﷺ: «**فبائع نفسه؛ فمعتقها أو موبقها**».

١٢- فيه -أيضًا- أن الأعمال تنسب إلىٰ الفاعل، فالعبد هو الذي يعتق

نفسه، وهو الذي يهلك نفسه.

١٣- بعد أن ذكر الأعمال الصالحة من طهور وتحميد وتسبيح وصلاة وصدقة وصبر وقرآن ذكر خواتيمها، فمن عمل صالحًا؛ فقد أعتق نفسه، ومن أساء؛ فقد أهلك نفسه؛ لأن الأعمال بخواتيمها، والأمور بعواقبها،وليس بفقيه من لم ينظر في مآلات الأفعال.



الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَىٰ عَن رَبِّه ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ؛ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ؛ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي؛ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي! إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا؛ فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

وهذا الحديث من الأحاديث التي عليها مدار الدين، وقد ذكره الإمام النووي في خاتمة كتاب الأذكار، ونوَّه بفضله.

وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدَّث بهذا الحديث جثا علىٰ ركبتيه.

وقال الإمام أحمد: «ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث».

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي ذر الغفاري ﷺ في الحديث الثامن عشر.

*** غريب الحديث:**

الظلم: وضع الشيء في غير محله.

ضال: غافل عن الشرائع قبل إرسال الرسل.

هديته: أرشدته إلىٰ ما جاء به الرسل ووفقته إليه.

فاستهدوني: اطلبوا مني الهداية.

صعيد واحد: أرض واحدة، والصعيد: وجه الأرض.

المخيط: الإبرة.

*** موضوع الحديث:**

تحريم الظلم وافتقار العباد إلىٰ الله.

*** الشرح الإجمالي:**

هذا الحديث من أصح الأحاديث الإلهية وأجمعها وأنفعها، والتي يسميها العلماء: الأحاديث القدسية؛ لأنه يرويها رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ .

وهو يبين أن الله حرم الظلم علىٰ نفسه كرمًا وجودًا، وكذلك جعله محرمًا بين العباد؛ فكل المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه.

ثم بيَّن أن العباد ضلَّال إلا من هداه الله، وسلك سبيل الهداية، وأنهم مفتقرون إلىٰ الله في طعامهم وشرابهم ولباسهم وكل شئونهم.

ومع عجزهم وفقرهم؛ فإنهم يخطئون في الليل والنهار، ولكن هذا الخطأ له دواء وهو التوبة والاستغفار، فمن تاب؛ تاب الله عليه، ومن استغفر وجد الله توابًا رحيمًا.

والله لا تنفعه طاعة الطائعين، فلو آمن مَنْ في الأرض جميعًا لن ينفعوا الله شيئًا، ولا تضره معصية العاصين، فلو كفر من في الأرض جميعًا؛ فلن يضروا الله شيئًا.

وإنما طاعة الطائع يعود نفعها إلىٰ نفسه والله غني عنها، فلو كان الخلق كلهم علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد ما زاد في ملك الله شيئًا، وكذلك معصية العاصي لا تضر إلا صاحبها، فلو كان الخلق كلهم علىٰ أفجر قلب رجل واحد منهم ما نقص من ملك الله شيئًا.

والله يعامل الخلق بكرمه وفضله؛ فهو يرزقهم ويعطيهم سؤلهم ويستجيب دعاءهم، فهو الغني الذي خزائنه لا تنفد، ويده سحاء لا تغيضها نفقة ﷻ.

ثم بيَّن الحديث أن العبد هو المسئول عن أفعاله محاسب علىٰ أعماله؛ فمن وجد خيرًا؛ فليحمد الله علىٰ توفيقه وهداه، ومن وجد غير ذلك؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وهذا الحديث الجليل شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة مفردة.

* **فقه الحديث:**

١- فقد شرف الله أهل الإيمان وأعلىٰ ذكرهم بأن نسبهم إلىٰ نفسه بقوله: «**يا عبادي**».

٢- نزَّه الله نفسه عن الظلم وحرمه علىٰ عباده، مع قدرته عليه، ولكنه حرَّمه كرمًا وجودًا.

٣- مشروعية السعي بطلب الهداية مقرونًا بالدعاء والتضرع إلىٰ الله.

٤- الرزق من عند الله وبيده، فينبغي تحصيله بأخذ أسباب الكسب المشروع والدعاء إلىٰ الله لتسهيله وتيسيره.

٥- العبد فقير إلىٰ مولاه في شتىٰ شئونه؛ كبيرها وصغيرها، جليلها وحقيرها،

فلابدَّ من أن يكون ملتجئًا إلىٰ الله؛ لأن في ذلك كمال الانكسار لله الذي هو غاية رفعة العبد.

٦- الله ﷻ لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، ولكنه يحب لعباده الإيمان، ويكره لهم الكفر والفسوق والعصيان.

٧- سعة رحمة الله؛ فلو آخذ الناس بظلمهم ومعاصيهم ما ترك عليها من دابة، ولكن يؤخرهم إلىٰ أجل مسمىٰ فيحصي أعمالهم ليجزيهم بها وعليها.

٨- الإنسان فاعل مختار لأعماله؛ ولذلك فهو محاسب عليها، وملوم علىٰ التفريط في حق الله.

٩- يحب الله من عباده أن يسألوه ويتضرعوا إليه ويلحوا في المسألة؛ فإن خزائن الله ملأىٰ.

١٠- رواية النبي ﷺ عن ربه، وهو ما يسميه أهل العلم: الأحاديث القدسية.

١١- الله ﷻ غني عن خلقه، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ففي هذا الحديث تقرير لأسماء الله: العزيز؛ فهو الذي لا يناله ضرر، الغني؛ وهو: الذي يحتاجه جميع الخلق ولا يحتاجهم، الحميد؛ وهو: الموصوف بكل المحامد ونعوت الجلال وصفات الكمال، فله الحمد في الأولىٰ والآخرة.

١٢- العاصي سوف يلوم نفسه، ولكنه في وقت لا ينفعه لوم ولا ندم ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:٣].

١٣- الحديث يربي المسلم علىٰ الحياء من الله، فمع غناه وعظمته؛ فهو يتودد إلىٰ عباده بنداء لطيف لدعائه واستغفاره وعبادته.

١٤- الله يحب المدح ولذلك مدح نفسه في كتابه وعلىٰ لسان خير رسله محمدﷺ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا.

١٥- الحديث يربي في قلب المسلم مراقبة الله حيث علم ذنوبه وعدَّها، وأنه يخطئ في الليل والنهار، ومن راقب الله نهىٰ النفس عن الهوىٰ.

١٦- الثواب والعقاب يكون علىٰ الأعمال ويتجاوز عن السيئات بفضله، ويدخل الجنة من شاء برحمته.

١٧- ما أصابك من خير؛ فمن الله، وما أصابك من شر؛ فمن نفسك: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء:٧٩].

١٨- جمع الحديث أعمال القلوب:

أ- المحبة تجدها في كل ألفاظ الحديث.

ب- الرجاء في قوله: «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**».

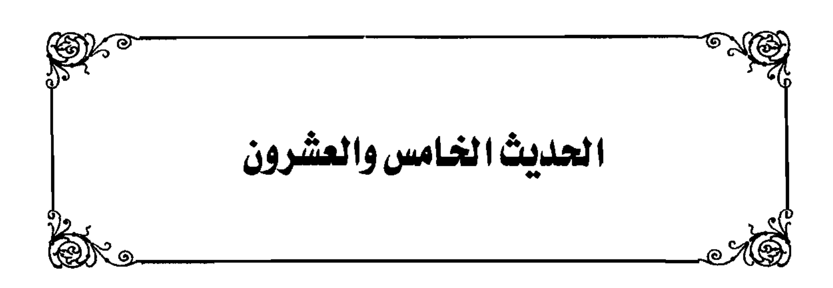
ت- الخوف في قوله: «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم**».

١٩- الجن مكلفون بعبادة الله سبحانه كالإنس، وأنهم محاسبون علىٰ أعمالهم.

٢٠- التقوىٰ والفجور محلهما القلب، ولذلك قال: «**علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم**»، وقال: «**علىٰ أفجر قلب رجل واحد منكم**».

وهذا يطابق قوله ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».





الحديث الخامس والعشرون

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: «**أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (١٠٠٦).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي ذر الغفاري ﷺ.

*** غريب الحديث:**

الدثور: جمع دثر، وهي: الأموال.

فضول أموالهم: أموالهم الزائدة عن حاجتهم وكفايتهم.

بُضع: الجماع أو الفرج، وكلاهما تصح إرادته هنا.

شهوته: لذته وما تشتاق إليه نفسه.

في حرام: في الزنا.

وزر: إثم وعقاب.

*** موضوع الحديث:**

أبواب الخير وأنواع الصدقة.

*** الشرح الإجمالي:**

كان الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم علىٰ الأعمال الصالحة، وقوة رغبتهم في الخير علىٰ ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم، فكان الفقراء يحزنون علىٰ فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء، ويحزنون علىٰ التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة علىٰ آلته.

وقد أخبر الله عنهم بذلك في كتابه فقال: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢].

فشكىٰ فقراء الصحابة هذا الأمر إلىٰ رسول الله ﷺ؛ فدلهم علىٰ صدقات يقدرون عليها.

❊ فقه الحديث:

١- تنافس المسلمين علىٰ فعل الخيرات، وحرصهم علىٰ عمل الطاعات ونيل القربات.

٢- تنافس الصحابة وتسابقهم للخيرات خال من الغل والحسد والمكر السيئ.

٣- سعة مفهوم العبادة في الإسلام، وأنها تشمل كل عمل يقوم به المسلم بنية صالحة وقصد حسن، ولو كان من الأعمال العادية الفطرية المباحة، ويؤجر علىٰ ترك المعصية؛ كما يؤجر علىٰ فعل الطاعة إذا كان بقصد الطاعة والامتثال.

٤- فقراء المسلمين كانوا يغبطون أغنياءهم؛ ليفعلوا الخير مثلهم.

٥- يسر الإسلام وسهولته؛ فكل مسلم يجد فيه ما يعمله؛ ليطيع الله.

٦- الأغنياء والفقراء مأمورون بفعل الطاعات وترك المنكرات.

٧- حكمة المفتي والمربي في توجيه من يجد في نفسه ضيقًا لعدم قدرته علىٰ اللحوق بالسابقين بالخيرات.

٨- الحديث أصل في إثبات حجية القياس، وهذا واضح في قوله ﷺ: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**».

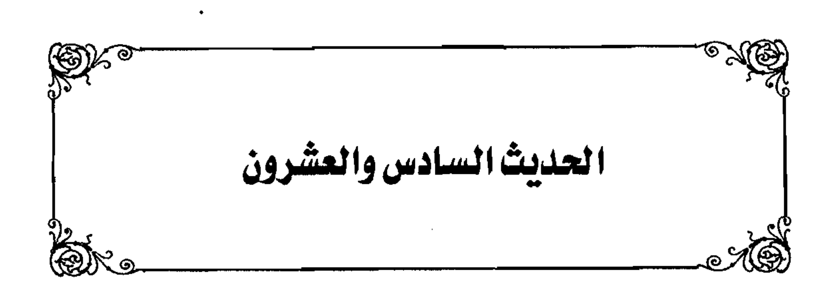
٩- الأصل في المسلم أن ينوع العبادات: من صلاة وصيام وزكاة وحج وصدقة وجهاد في سبيل الله؛ ليكون له سهم في كل باب من أبواب الخير.

١٠- العالم يفتح أبواب الخير ويعددها ويسهلها علىٰ الناس، ولا يضع بينهم وبينها عوائق بل يجعل فعل الخيرات قريبة منهم سهلة عليهم؛ كما فعل رسول الله ﷺ مع فقراء الصحابة رضي الله عنهم.

١١- الحديث يربي المسلم علىٰ حفظ وقته واشتغاله بما ينفعه؛ لأن كل قول أو فعل أو حركة أو سكون يراد بها وجه الله فهي صدقة؛ فيكون حريصًا ألا يصرف وقته إلا في طاعة الله واتباع رسول الله ﷺ.

١٢- علىٰ المسلم أن يجدد نيته؛ فإتيان الزوجة والنفقة علىٰ الأهل وطلب الرزق تصير صدقاتٍ إذا فعلها العبد إيمانًا واحتسابًا.

١٣- وجوب إحسان الظن بالمسلمين؛ حيث قال فقراء الصحابة رضي الله عنهم في إخوانهم الأغنياء: ذهبوا بالأجور، فأحسنوا الظن بهم، وبأن الله تقبلها منهم، وهذا لصفاء قلوبهم من الغل والحقد والحسد والشحناء والبغضاء.



الحديث السادس والعشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيْقِ صَدَقَةٌ».
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ومُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (٥/ ٣٠٩-فتح)، ومسلم (١٠٠٩).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

سُلامىٰ: مفاصل؛ كما في حديث عائشة عند مسلم (١٠٠٧).

تعدل: تفصل بينهما، وتحكم بالعدل.

متاعه: ما ينتفع به من طعام ولباس ونحوهما.

الكلمة الطيبة: ما تَسرُّ السامع، وتؤلف القلوب.

* موضوع الحديث:

الصدقات التي ينبغي أن يعملها المسلم في اليوم والليلة.

* الشرح الإجمالي:

أخبر رسول الله ﷺ أن الله خلق كل إنسان من بني آدم علىٰ ثلثمائة وستين مفصلًا، وأن تركيب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالىٰ علىٰ عبده؛ فيحتاج كل عظم منها إلىٰ صدقة يتصدق بها ابن آدم عنه؛ ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة.

ثم بين رسول الله ﷺ أنواع هذه الصدقات:

١- تجد اثنين متخاصمين؛ فتحكم بينهما بالعدل، وهذه من أفضل الصدقات؛ لقوله تعالىٰ: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

٢- تعين أخاك المسلم في دابته أو سيارته، إما أن تحمله عليها إن كان لا يستطيع أن يحمل نفسه، أو تعينه في رفع متاعه عليها، وهذا من أنواع الإحسان التي يحبها الله.

٣- الكلام الطيب الذي يُقرِّب إلىٰ الله: كالتسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، وتعليم السنة، ونشر العلم كل ذلك وغيره كلم طيب وهو من الصدقات.

ففي حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (١٠٠٧)

قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنه خلق كل إنسان من بني آدم علىٰ ستين وثلثمائة مفصل، فمن كبَّر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكةً أو عظمًا عن طريق الناس، أو أمر بمعروف أو نهىٰ عن منكرٍ، عدد الستين والثلثمائة؛ فإنه يُمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار**».

٤- والذهاب إلىٰ المسجد لصلاة الجماعة لك صدقة بكل خطوة تخطوها.

٥- إماطة ما يؤذي المسلمين من ماء أو حجر أو شوك أو زجاج أو غصن شجرة أو غير ذلك كله صدقة.

*** فقه الحديث:**

١- استحباب الإصلاح بين الناس بالعدل ومعاملتهم بالأخلاق الكريمة.

٢- استحباب المحافظة علىٰ صلاة الجماعة في المسجد.

٣- تحديد عدد المفاصل التي يصبح المسلم وعليها صدقة.

٤- تقديم العون للمسلمين بالقول والفعل، فالمسلم نافع مبارك في جميع أحواله وأحيانه.

٥- كل خير يحبه الله ويرضاه من عبادة وإحسان إلىٰ خلقه فإنه صدقة.

ويصدق ذلك: أن بعض عمَّال عمر بن العزيز كتب إليه: إني بأرض قد كثرت فيها النعم حتىٰ لقد خفت علىٰ أهلها من ضعف الشكر.

فكتب إليه عمر: إني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت، إن الله لم ينعم علىٰ

عبدٍ نعمة؛ فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥]، وقال الله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر:٧٣-٧٤] أيُّ نعمة أفضل من دخول الجنة؟!

* وجوب شكر الله علىٰ نعمه التي في الإنسان؛ لقوله ﷺ: **«علىٰ كل سُلامىٰ من الناس صدقة»**.

* التفكر في النفس ومعرفة آيات الله فيها من سمات الموقنين: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

* من أفضل الصدقات ما كان نفعه متعديًا إلىٰ المسلمين.

* استحباب الاستمرار في الأعمال الصالحة في كل الأيام، فلا ينقطع عنها، ولا يمل منها، وذلك لقوله ﷺ: **«كل يوم تطلع فيه الشمس»**.

* الإسلام يربي في المسلم الشعور بالمسئولية تجاه نفسه وإخوانه ومجتمعه وبلده.

* المسلم مشارك متفاعل في قضايا أمته من إصلاح أو نظافة أو تقديم خدمة عامة، فليس موانيًا أو كسولًا أو متواكلًا أو مسوِّفًا أو منعزلًا.

تنبيهان:

الأول: عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: **«في الإنسان ستون وثلثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة»**.

قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «**النخاعة في المسجد تدفنها، أو الشيء تنحيه عن الطريق؛ فإن لم تقدر، فركعتا الضحىٰ تجزئ عنك**».

أخرجه أبو داود (٥٤٢٤)، وأحمد (٥/ ٣٥٤) -واللفظ له- وابن حبان (٢٥٤٠)، وابن خزيمة (١٢٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١١٦٤)، وهو صحيح.

قلت: وقد طلبت حكمة ارتباط صلاة الضحىٰ بمفاصل جسم الإنسان، فظهر لي -بتوفيق الله وفضله-: أن هذا عدد المفاصل المتحركة التي تعطي الهيكل العظمي القدرة الكاملة علىٰ الحركة بمرونة تامة، وتعرف المفاصل الزليلية؛ لاحتوائها علىٰ سوائل تعين علىٰ انزلاق العظام ودون ارتطام بعضها ببعض، ويعرف بالسائل الزليلي.

ولولا هذه المفاصل التي وهبها الله ﷻ للإنسان لما استطاع الإنسان الحركة، ولذلك أوصانا رسول الله بوجوب شكر المنعم ﷻ كل يوم تطلع فيه الشمس بعدد مفاصل جسم الإنسان.

ثم بين رسول الله ﷺ أن ركعتي الضحىٰ تجزئ عن ذلك؛ لأنه في الصلاة تتحرك جميع مفاصل الجسم، فلا يبقىٰ مفصل إلا وقد شارك في هذه الصلاة؛ فلذلك فصلاة الضحىٰ تجزئ عن ثلثمائة وستين صدقة؛ لأن كل سلام صدقة، والله أعلم.

الثاني: هذا الحديث من دلائل نبوة محمد ﷺ وبرهان جلي علىٰ صدقه، وإليك البيان:

١ - العوائق في تطابق الحقيقة الكونية مع النص الشرعي[1].

٢- اقتصار الإشارة في فهم الحديث علىٰ المفاصل بين العظام مع إهمال ما بين الغضاريف.

٣- اختلاف التعريف العلمي للمفاصل، والذي يشمل التقاء عظام أو غضاريف بدون فاصل عن الفهم اللغوي الذي يشير إلىٰ وجود فاصل بين شيئين.

٤- ضرورة وضع قاعدة للحالات المتكررة بالجسم، والتي قد تتمفصل فيها عظمتان في أكثر من موضع، وهل تحتسب مفصلًا واحدًا، أو بعدد أماكن الالتقاء.

٥- حل التناقض الظاهري بضبط التعريف العلمي للمفاصل، ثم تطبيق ذلك بحصر مفاصل الجسم البشري:

أولًا: وضع التعريف المنضبط للمفاصل:

تم وضع عدد من الضوابط العلمية التفصيلية قبل بدء العد، ثم القيام بعملية الحصر بدقة، حيث إن أي خلل في وضع الضوابط، أو في دقة تطبيقها سيؤدي إلىٰ الخلل في إظهار الحقيقة الكونية، الممثلة في العدد الفعلي لمفاصل الجسم المشار إليها في الحديث الشريف، وبالتالي عدم القدرة علىٰ إظهار مناط الإعجاز.

كما أن عدم التقيد بضوابط صحيحة ودقيقة علميًّا من الأساس سيفتح باب

---

(١) أصل هذا البحث للأستاذ الدكتور شريف أحمد جلال، والأستاذ الدكتور أحمد عبد المنعم العياط، والأستاذ الدكتور مصطفىٰ محمد عبد المنعم، وقد هذبته وزدته بما يناسب المقام المذكور.

الطعن علىٰ مجال الإعجاز بكامله، علىٰ أساس أن المتصدين له يلوون أعناق النصوص الشرعية أو الحقائق العلمية؛ لتتوافق حسب أهوائهم.

والذي نعتمده في هذا البحث هو أن:

المفصل: هو الالتقاء بين أي عظمتين أو عظمة وغضروف أو غضروفين في أي موضع بجسم الإنسان ما دام بينهما فاصل.

وهذا التعريف لا يتعارض مع علوم اللغة، ولكن يضبط مدلول كلمة (مفصل) بالضابط العلمي الذي يشمل المفاصل التي تشارك فيها الغضاريف، كما لا يتعارض مع المراجع العلمية الحديثة، ولكن يضبطها حسب المدلول اللغوي لكلمة (مفصل)، والذي يعني وجود (فاصل) بين شيئين.

كما تم اعتبار التقاء عظمتين مفصلًا واحدًا حتىٰ لو التقيا في أكثر من موضع، وبذلك تكون الضوابط المصاحبة للتعريف هي:

١- لا يدرج في هذا الإحصاء المفاصل الغضروفية الأولية، والتي تتكون من عظام يحيط بها غضروف، حيث يتعظم هذا الغضروف في سن مبكر بحيث تلتحم هذه العظام تمامًا بغير فاصل بينها:

مثال:

أ- التقاء نهايات عظام الأطراف الطويلة مع سيقانها.

ب- التحام عظمة الوتد في الجمجمة مع العظمة القفوية.

٢- لم يدرج في هذا الإحصاء اتصال الغضروف بالعظم عندما لا يكون بينهما

فاصل، ولكن يتصلان فقط بالتئام غشاء الغضروف مع غشاء العظم.

مثال:

أ- اتصال غضاريف الضلوع مع الضلوع.

٣- تم اعتبار الاتصال بين عظمتين كمفصل واحد حتىٰ لو تم الاتصال في أكثر من موقع.

مثال:

أ- اتصال عظمة الجبهة في الجمجمة مع عظمة الوتد.

ب- اتصال عظمة الوتد مع عظمة الميكعة.

ثانيًا: حصر مفاصل الجسم البشري تطبيقًا للقاعدة الموضوعة:

العدد الكلي للمفاصل حسب القواعد الموضوعة:

أولًا: بالعمود الفقري ١٤٧ مفصلًا منها:

٢٥ مفصلًا بين الفقرات.

٧٢ مفصلًا بين الفقرات والأضلاع.

٥٠ مفصلًا بين الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية.

ثانيًا: بالصدر ٢٤ مفصلًا منها:

مفصلان بين عظمتي القَصِّ والقفص الصدري.

١٨ مفصلًا بين القَصِّ والضلوع.

مفصلان بين الترقوة ولوحي الكتف.

مفصلان بين لوحي الكتف والصدر.

ثالثًا: بالطرف العلوي ٨٦ مفصلًا منها:

مفصلان بين عظام الكتفين.

٦ مفاصل بين عظام الكوعين.

٨ مفاصل بين عظام الرسغين.

٧٠ مفصلًا بين عظام اليدين.

رابعًا: بالطرف السفلي ٨٨ مفصلًا منها:

مفصلان للفخذين.

٦ مفاصل بين عظام الركبتين.

٦ مفاصل بين عظام الكاحلين.

٧٤ مفصلًا بين عظام القدمين.

خامسًا: بالحوض ١٥ مفصلًا منها:

٤ مفاصل بين عظام الركبة.

٤ مفاصل بين فقرات العصعص.

٦ مفاصل بين عظام الحق.

مفصل واحد الإرفاق العاني.

المجموع: ٣٦٠ مفصلًا.

وهكذا تتضح آية جديدة من آيات إعجاز السنة النبوية المطهرة ما كان لبشر أن يحيط بها في زمن النبوة.

والسؤال الذي يفرض نفسه ضرورة: مَنْ غير الله الخالق عَلَّم خاتم النبيين بهذه الحقائق العلمية المتخصصة؟ والتي كان كبار أساتذة الطب حتىٰ نهايات القرن العشرين لا يعرفون بالضبط عدد المفاصل في جسم الإنسان، حتىٰ أن عددًا كبيرًا من الدوائر العلمية المتخصصة كانت تبتعد عن تحديد عدد مفاصل جسم الإنسان؛ كما فعلت (دائرة المعارف البريطانية) التي جمعت عظام ومفاصل هيكل الإنسان في مجموعات رئيسية دون تحديد، وهي:

١- الهيكل المحوري، ويشمل العمود الفقري، ومعظم الجمجمة.

٢- الهيكل الأحشائي، ويشمل القفص الصدري، والفك السفلي، وبعض أجزاء الفك العلوي.

٣- الهيكل الطرفي، ويشمل عظام الحوض وأحزمة الأكتاف، وعظام وغضاريف الأطراف.

وأما ضبطها بالتفصيل؛ فلم يصل إليه علم الإنسان إلا في أواخر القرن العشرين؛ كما في كتاب «رحلة الإيمان في جسم الإنسان» للدكتور حامد أحمد حامد.

وقد ذكرت نشرة (المؤسسة الطبية الأسترالية) بأن عدد مفاصل جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلًا، وعدد العظام (٢١٣) عظمًا.

ولماذا يخبر الرسول ﷺ عن أمر غيبي؟ لولا أن الله ﷻ علمه هذا الأمر،

وجاء العلم موافقًا لما أخبر به رسول الله ﷺ من باب قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

وقد تبيَّن الحق في هذه القضية لبعض علماء الغرب؛ فأسلم.

١- يؤكد الدكتور عبد الباسط السيد -رئيس قسم الكيمياء الحيوية بالمركز القومي للبحوث في مصر- وعضو هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة: أن عالم التشريح في مجال الأنف والأذن والحنجرة الألماني (شن) اكتشف أن عدد مفاصل جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلًا.

وعندما أُخبر بقوله ﷺ: «**خلق كل إنسان من بني آدم علىٰ ستين وثلثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظمًا من طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهىٰ عن منكر، عدد تلك الستين والثلثمائة السلامىٰ؛ فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار**»[1].

قال العالم الألماني: أثبتوا لي هذا الحديث، وعندما قرأه في كتب السنة نطق بالشهادتين وأسلم، وجاء إلىٰ هيئة الإعجاز، وأعلن إسلامه.

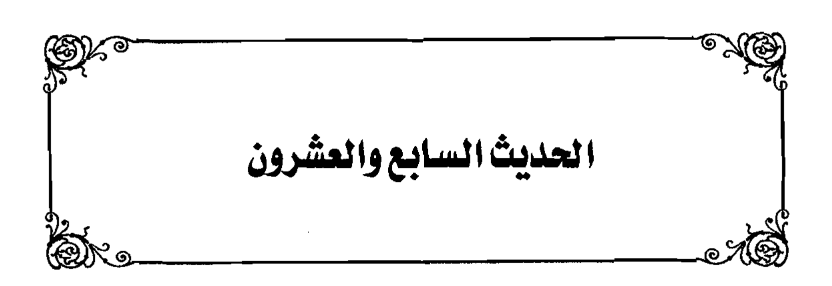
٢- ويقول الدكتور عبد الله المصلح في محاضرة له أمام حشد كبير من المتسابقين خلال فعاليات النشاط الثقافي لجائزة الأمير سلطان الدولية لحفظ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٧).

القرآن الكريم للعسكريين، عندما زار المحاضر عيادة العالم الألماني الذي يدعىٰ (بريدل) لمعالجته من مرض ألمَّ به في مفاصله، أحب المحاضر أن يدعو الطبيب الألماني إلىٰ الإسلام، ودار بينهما حديث فحواه: أن العلماء وبالتحديد علماء المفاصل ظلوا وقتًا كبيرًا يبحثون عن العدد الحقيقي لمفاصل الإنسان، بينما المسلمون يعلمون عدد المفاصل في جسم الإنسان منذ (١٥) قرنًا، فبهت العالم الألماني لما علم ذلك، وأعلن إسلامه.





الحديث السابع والعشرون

٢٧- عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

*** راوي الحديث:**

هو النواس بن سمعان بن خالد بن عبد الله الكلابي العامري، له صحبة ورواية، سكن الشام، توفي سنة (٥٠هـ) تقريبًا، روى له مسلم والأربعة.

*** غريب الحديث:**

البر: كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف.

حسن الخلق: التخلق بآداب الشريعة، والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده، وكمّلها في رسول الله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

الإثم: كلمة جامعة لجميع أفعال الشر والقبائح.

حاك: تردد فيه.

*** موضوع الحديث:**

ميزان البر والإثم.

*** الشرح الإجمالي:**

البر كلمة جامعة تدل علىٰ الخير وكثرته وحسن الخلق ووفرته، وهذا يعني أن يكون الإنسان واسع البال منشرح الصدر مطمئن القلب حسن المعاملة.

ثم بين رسول الله ﷺ الإثم وأنه ما حاك في نفس المؤمن وتردد فيه، ولم تأمنه النفس، وهذا خاص بأهل الإيمان أما أهل الفجور؛ فإن الآثام لا تحيك بنفوسهم ولا تكرهها طبائعهم، بل قد يجاهرون بها ويتفاخرون بفعلها، ويعدون ذلك رجولة وفتوة.

فهذا الميزان الذي ذكره رسول الله ﷺ هو مع أهل الخير والصلاح.

*** فقه الحديث:**

* الحث علىٰ حسن الخلق لمنزلته العظيمة في الإسلام، وأنه ينجي من الإثم والمعصية.

* **للإثم علامتان:** أن يتردد في النفس ويتحرك، وأن يكره اطِّلاع الناس عليه؛ لأنه عورة يهرب ذوو الحياء من كشفها.

* وفي الحديث دليل علىٰ أن للنفس شعورًا من أصل الفطرة بما تحمد وتذم عليه؛ فهي قادرة علىٰ تمييز الإثم من البر؛ لأن الله فطر عباده علىٰ معرفة الحق، والسكون إليه وقبوله، ورَكَزَ في الطباع محبة ذلك والنفور عن ضده.

* البر عليه نور أبلج، والإثم مظلم لجلج.

* البر يشمل حقوق الله وحقوق العباد وحقوق النفس.

* المؤمن حيي ستير يستحي، لا يحب أن يطلع الناس على قبائحه أو يرون عيوبه بخلاف الفاجر الذي لا يبالي.

ب- وعن وابصةَ بن معبدٍ ﷺ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقال: «**جِئتَ تَسأَلُ عَنِ البِرِّ؟** قُلتُ: نَعَم، فَقَالَ: **اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِن أَفْتَاكَ النَّاس وَأَفْتَوكَ**». حديث حسن، رويناه في مسند الإمامين أحمد بن حنبل، والدارمي بإسناد جيد.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٨)، والدارمي (٢/ ٢٤٥-٢٤٦) من طريق حماد بن سلمة، عن الزبير -وتحرفت عند الدارمي إلى: «الزهراني»- أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عنه به.

قلت: وهذا إسناد ضعيف فيه علتان:

الأولى: الزبير أبو عبد السلام، لم يوثقه غير ابن حبان.

الثانية: شيخه أيوب بن عبد الله بن مكرز؛ مستور.

وله طريق آخر عند أحمد (٤/ ٢٢٧): ثنا عبد الرحمن بن مهدي؛ عن معاوية بن صالح، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: سمعت وابصة بن معبد -صاحب

رسول الله- قال: (وذكره).

وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات، غير معاوية بن صالح، وهو صدوق.

ويشهد له -أيضًا- حديث النواس بن سمعان ﷺ.

وفي الباب عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ عند أحمد بإسناد صحيح.

*** راوي الحديث:**

هو وابصة بن معبد بن عتبة بن الحارث الأسدي، ويكنّىٰ: أبا سالم، له صحبة، سكن الكوفة ثم تحول إلىٰ الرقة، وتوفي بها.

*** غريب الحديث:**

استفت قلبك: اطلب الفتوىٰ من قلبك.

تردّد في الصدر: ما تردّد في النفس واختلج فيها، فلم تنشرح إليه أو تطمئن به.

*** موضوع الحديث:**

ميزان البر والإثم.

*** الشرح الإجمالي:**

جاء وابصة بن معبد ﷺ يسأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم، لكن رسول الله ﷺ بما علّمه الله أخبره بما جاء به قبل أن يتحدث، فصدق وابصةُ رسولَ الله ﷺ.

ثم أخبره رسول الله ﷺ عن ميزان البر، وأنه: ما استراحت إليه النفس، وانشرح له الصدر، واطمأن إليه القلب، والإثم عكسه.

ثم بيَّن له معيارًا واضحًا وهو أنه يستفتي قلبه وإن أفتاه الناس؛ أي: إذا أفتاك الناس بأنه ليس فيه إثم وأفتوك مرة بعد مرة، وهذا يقع كثيرًا حيث يتردَّد الإنسان في الشيء، ولا يطمئن له.

ولو قال له الناس: هذا حلال ولا بأس به، فإذا كان الحال كما وصفت، فيقال: مثل هذا إثم؛ فاجتنبه، ولا يكون هذا إلا لصاحب النفس المطمئنة التي تحب الخير، وتكره الشَّرَّ.

*** فقه الحديث:**

١- من معجزات الرسول ﷺ إخبار السائل بما يريد سؤاله عنه قبل أن يسأل، وهذا من الغيب الذي أطلعه الله عليه.

٢- الحق والباطل لا يلتبس أمرهما علىٰ المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه؛ فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل؛ فينكره ولا يعرفه.

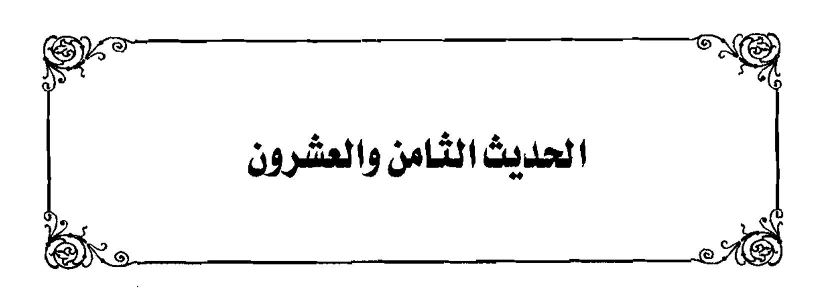
٣- هذا الحديث لا يدل علىٰ زعم بعض المتصوفة: أن الإلهام والكشف من الأدلة إلىٰ معرفة الأحكام؛ فقد ورد عن السلف ذمُّ المتكلمين في الوساوس والخطرات حيث لا يستند كلامهم إلىٰ أصل معتمد، بل إلىٰ رأي وذوق ووجد ينبع من الهوىٰ؛ ولا يتبع الهدىٰ.

٤- المعاصي والذنوب تجلب الشقاء للإنسان، وتوقعه في الضيق والحرج والقلق والكآبة.

٥- الطاعات والإكثار منها يزيد النفس طمأنينة، والصدر انشراحًا، والقلب ثباتًا، والعقل نورًا وهداية.

٦- من بذل وسعه في تحري الحق، ولم يوفق للصواب، لا يحكم بتأثيمه أو انتقاصه، بل له أجر واحد.

٧- المؤمن يتحرى الحق ويحتاط لنفسه، ويبذل وسعه في السداد أو المقاربة.



الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أَبِي نَجِيحٍ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ الله تَعَالَىٰ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ فَأَطِيعُوه؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِن بَعْدِي وَتَمَسَّكُوا بِهَا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

النَّوَاجِذ: بالذَّال المعجمةِ. وهي: الأنيابُ. وقيل: الأضراسُ.

*** توثيق الحديث:**

صحيح لغيره: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣و٤٤) من طريق عبد الرحمن عن عمرو السلمي عنه به.

قلت: هو تابعي روىٰ عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان.

وتابعه حجر بن حجر عند أبي داود وابن حبان في «صحيحه» (٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢ و٥٧)، وهو تابعي لم يرو عنه غير خالد بن معدان،

ووثقه ابن حبان.

وللحديث طريق آخر عن يحيىٰ بن أبي المطاع قال: سمعت العرباض بن سارية، وذكر نحوه.

أخرجه ابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ٩٧).

ورجاله ثقات إلا أن دحيمًا أشار أن رواية يحيىٰ بن أبي المطاع عن العرباض مرسلة.

قلت: وقد صرح بالسماع من العرباض، والسند إليه صحيح، والله أعلم.

وله طرق أخرىٰ؛ فالحديث صحيح ثابت، وقد اتفق أهل العلم علىٰ تصحيحه والاحتجاج به، ولم يشذ إلا ابن القطان الفاسي، وللرد عليه وعلىٰ مقلديه موضع آخر إن شاء الله[1].

فائدة:

لم أر في طرق الحديث التي وقفت عليها اللفظ الذي أورده المصنف: «**وإن تأمر**»، بل كلها: «**وإن عبدًا حبشيًّا**».

*** راوي الحديث:**

هو العرباض بن سارية السلمي، يكنىٰ بأبي نجيح، كان إسلامه قديمًا، من

---

(١) وانظر -تفضلًا- كتابي: «بصائر ذوي الشرف» (ص٦٦-٦٩)، و«السنة» لابن نصر المروزي (٦٠-بتحقيقي).

وأفردت هذا الحديث رواية ودراية ورعاية بكتاب مفرد، هو «نسيم الرياض في شرح حديث العرباض، والدفاع عنه رواية ودراية».

أعيان أهل الصفة، وهو أحد البكائين الذين نزل فيهم قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢].

سكن حمص، توفي بعد سنة (٧٥هـ) رضي الله عنه.

*** غريب الحديث:**

موعظة: هي النصح والتذكير بالعواقب.

وجلت: خافت.

ذرفت: سالت بالدموع.

موعظة مودع: موعظة بالغة نافعة قوية.

السمع والطاعة: لولاة الأمور؛ أي: اسمعوا ما يقولونه وما يأمرون به، واجتنبوا ما ينهون عنه.

وإن تأمَّر عليكم عبد: وإن كان الأمير عبدًا؛ فاسمعوا له وأطيعوا.

فإنه من يعش منكم: أي من تطول حياته؛ فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا.

المهديين: صفة كاشفة؛ لأن كل راشد؛ فهو مهدي، والمراد: الذين هداهم الله إلىٰ طريق الحق.

عضوا عليها: تمسكوا بها.

بالنواجذ: أقصىٰ الأضراس.

* **موضوع الحديث:**

وصايا جامعة في المنهج.

* **الشرح الإجمالي:**

يخبر الصحابي الجليل: العرباض بن سارية ﷺ أن رسول الله ﷺ وعظ أصحابه علىٰ عادته في غير الخطب الراتبة، وكان ذلك بعد صلاة الصبح.

فلما رأىٰ الصحابة ﷺ أنها موعظة بليغة شعروا أنها موعظة مودع؛ فرغبوا أن يستغلوا هذه الفرصة؛ ليوصيهم النبي ﷺ بما فيه خير، فطلبوا ذلك منه، فلما وجد رسول الله ﷺ أنهم مهيئون لذلك أوصاهم بوصايا منهجية جامعة:

١- أوصاهم بتقوىٰ الله، وهي وصية الله للأولين والآخرين، وهذا حق الله.

٢- وأوصاهم بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم وإن كان عبدًا، ومعلوم أن الطاعة لولاة الأمر لا تكون إلا في المعروف، فإن أمروا بمعصية أو بدعة فلا طاعة لهم، ولكن لا ننزع يدًا من طاعة، ولا نخرج عليهم بالكلمة أو السيف أو التحريض، وإنما نناصحهم سرًّا ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلًا.

٣- ثم أخبرهم بوقوع الاختلاف والتفرق في هذه الأمة اتباعًا لسنن الأمم السابقة من أهل الكتاب، وهذا التفرق؛ لأن مناهج هذه الفرق مبتدعة يقودها الهوىٰ وليس الهدىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وهذا من دلائل نبوة الرسول ﷺ حيث وقع ما أخبر به ﷺ كما وصف؛ حيث حصل الاختلاف الكثير والتفرق الكبير، وأدرك ذلك من طال عمره من الصحابة ﷺ.

ولكن الرسول ﷺ الرءوف الرحيم وصف لهم الدواء الشافي من هذا الداء العضال، فأمرهم بالتزام سنته بفهم الصحابة الكرام ﷺ، وبين لهم أن هذا هو العصمة من الضلال والأمن من الزيغ والانحراف، والهادي إلىٰ سبيل المؤمنين.

٤- ثم حذرهم من البدع؛ لأنها كلها ضلالة، وكل ضلالة في النار.

*** فقه الحديث:**

١- ينبغي علىٰ الواعظ أن يجمل ويفصح في الإجمال.

٢- لقد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم؛ فما ترك من خير إلا وأمر أصحابه به، وما ترك من شرٍّ إلا وقد نهىٰ عنه، فقد جمع في وصيته كل ما يحتاجه المرء في دنياه وآخرته.

٣- لزوم تقوىٰ الله تعالىٰ وهي وصية الله للأولين والآخرين، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

٤- لزوم طاعة الأمراء ما داموا يأمرون بطاعة الله مع عدم الالتفات إلىٰ أشكالهم وألوانهم.

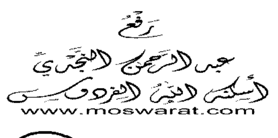
٥- إخبار الرسول ﷺ باختلاف أمته وتفرقها إلىٰ فرق كثيرة.

٦- صلاح الأمة وسلامتها بوجود إمام يسوسها بشرع الله؛ فتطيعه ما أطاع الله وحكم بشرعه.

٧- التحذير من الابتداع في دين الله؛ لأنه كله ضلال وشر، ويجلب كل فساد وضرٍّ علىٰ الأمة.

٨- النجاة في وقت الغربة وزمن الاختلاف هو بالتزام كتاب الله وسنة ورسولهﷺ بفهم أصحاب رسول اللهﷺ.

٩- الحديث أصل كبير في حجية المنهج السلفي، وقد بسطت ذلك في كتابي: «لماذا اخترت المنهج السلفي؟»، وأما فوائده ودلالاته فذكرتها في جزء مفرد هو: «نسيم الرياض في شرح حديث العرباض».



الحديث التاسع والعشرون

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ». ثُمَّ تَلَا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧].

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟». قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ».

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّه؟ قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

* **توثيق الحديث:**

أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١) من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عنه به.

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥ و٢٣٦ و٢٤٥-٢٤٦) من طرق عن شهر: ثنا ابن غنم عن معاذ به مطولًا ومختصرًا.

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن شهر بن حوشب سيئ الحفظ.

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٤): ثنا أبو المغيرة ثنا أبو بكر حدثني عطية بن قيس عن معاذ بن جبل (وذكره مختصرًا، وجعل: «**عمود الإسلام**». وصفًا للجهاد، بينما هو وصف للصلاة).

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن أبا بكر -وهو عبد الله بن أبي مريم الشامي- مختلط، وباقي رجاله ثقات.

وهذه الطرق تقوي بعضها بعضًا -إن شاء الله-.

وللحديث طرق أخرى؛ لكنها متحدة في العلة، وهي سقوط تابعيها، ويجوز أن يكون واحدًا، وهي عندئذٍ في حكم الطريق الواحد، ويجوز أن يكون التابعي مجهولًا، والله أعلم.

ولفقراته منفردة شواهد، انظرها في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٠).

وبالجملة؛ فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة معاذ بن جبل ﷺ في الحديث الثامن عشر.

*** غريب الحديث:**

جُنَّة: وقاية وستر من النار.

جوف الليل: وسطه.

تتجافىٰ: تتباعد.

المضاجع: المفارش والمراقد.

ذروة: أعلىٰ الشيء.

السنام: ما ارتفع من ظهر الجمل.

ملاك: إحكام الشيء.

كفّ: امتنع.

ثكلتك أمك: فقدتك، وهو دعاء عليه بالموت ظاهره لا يراد وقوعه؛ لأنه من الألفاظ التي تجري علىٰ ألسنتهم، ولا يقصدون بها حقيقة الدعاء، مثل: تربت يداك، ولا أبا لك، وقاتلك الله.

يكبّ: يصرعه علىٰ وجهه.

*** موضوع الحديث:**

أبواب الخير وصنائع المعروف.

* **الشرح الإجمالي:**

يخبر معاذ بن جبل ﷺ أنه طلب من رسول الله ﷺ أن يدله على عمل يدخله الجنة ويباعده عن النار؛ لأن ذلك أهم شيء عنده ﷺ، وكذلك ينبغي أن يكون جميع المؤمنين؛ لأن ذلك غاية الفوز؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

فأخبره رسول الله ﷺ مقرًّا ومشجعًا هذه الهمة عالية؛ لأنها سألت عن أمر عظيم؛ أي: ذي عظمة ومنزلة عالية، ولكن هذا الأمر سهل على من سهَّله الله عليه، وهداه لاتباع الصراط المستقيم، ولزوم غرز سبيل المؤمنين الذي يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام.

ثم فَصَّل هذا اليسر وأن مفتاحه مباني الإسلام الخمس: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج.

ثم زاده لما رأى حرصه على الخير بقوله: «**ألا أدلك على أبواب الخير**». فكأن معاذًا قال: نعم؛ فشرع الرسول ﷺ بذكرها: الصوم، والمقصود هنا: صوم التطوع؛ بدلالة السباق والسياق، والصدقة التي تطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار، وصلاة التطوع في الليل وبخاصة ثلثه الأخير، ثم بين رسول الله ﷺ أن صلاة التهجد من سنن المتقين وذلك بقراءته قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧].

ثم زاده رسول الله ﷺ بصيرة بمعالم الهدى لهذا الدين، وهي:

١- رأس الأمر؛ وهو: التوحيد؛ لأنه غاية الخلق، وحق رب العباد، وبه الفوز في الدنيا والآخرة.

٢- عموده؛ وهي: الصلاة؛ لأن أعمال العبد لا تستقيم إلا بالصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله؛ وإن فسدت فسد سائر عمله.

٣- ذروة سنامه؛ وهو: الجهاد في سبيل الله؛ لأنه به يعلو المسلمون علىٰ أعدائهم، وما تركه قوم إلا ذَلُّوا وَغُزُوا في عقر دارهم.

ثم ختم له هذه الوصية بضابط ذلك كله وملاك الأمر جميعه؛ فأمره بأن يمسك عليه لسانه، ولا يطلقه إلا في خير وإلا فليصمت؛ فإن الصمت منجاة من فضول الكلام؛ لأن من كثر كلامه؛ كثر سقطه، ومن كثر سقطه؛ كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه، كثرت معاصيه، ومن كثرت معاصيه، كُبَّ علىٰ وجهه في نار جهنم؛ ولذلك قال له رسول الله ﷺ: «**ثكلتك أمك يا معاذ!! وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟**».

فاحذر أيها الإنسان من لسانك لا يلدغنك؛ فإنه ثعبان، أو كما قيل في الأمثال السائرة والحِكَم الدارجة: لسانك حصانك: إن صُنْتَهُ صانك، وإن هِنْتَهُ هانك.

*** فقه الحديث:**

١- استحباب سؤال المتعلم شيخه عن أفضل الأعمال وأعلاها درجة من أجل الفوز بالجنة والهروب من النار، والسؤال يكون من متعلم إلىٰ عالم أعلم منه.

٢- بيان شدة اهتمام العالم بسؤال تلميذه، وأن يردَّ عليه بجواب شاف كافٍ؛ بأسلوب سهل، وكلمات يسيرة، والطريق التي يسلكها هذا التلميذ للوصول إلىٰ ما يسأل عنه.

٣- قول معاذ: أخبرني عن عمل يدخلني الجنة فيه دليل علىٰ أن الأعمال سبب لدخول الجنة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢].

وأما قوله ﷺ في الصحيحين: «**لن يدخل الجنة أحد بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا...**»؛ ففيه أقوال:

الأول: أن المراد نفي أصل الدخول.

الثاني: أن العمل بنفسه لا يستحق به أحد الجنة؛ لولا فضل الله ﷻ ورحمته؛ حيث جعله سببًا لذلك، والعمل بنفسه من فضل الله ورحمته علىٰ عبده؛ فالجنة وأسبابها كلٌّ من فضل الله ورحمته.

الثالث: أن الأعمال سبب في تفاوت الدرجات وليست سببًا في الدخول.

الرابع: وهو أحسنها؛ لأنه يجمع شتاتها: أن يقال: الباء المقتضية للدخول غير الباء التي نفي معها الدخول؛ فالمقتضية هي باء السببية الدالة علىٰ أن الأعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، والباء التي نفىٰ بها الدخول هي باء المعاوضة والمقابلة والبدل، التي في نحو قولهم: اشتريت هذا بهذا.

فأخبر النبي ﷺ أن دخول الجنة ليس في مقابله عمل أحد، وأنه لولا تغمُّد الله سبحانه لعبده برحمته لَمَا أدخله الجنة؛ فليس عمل العبد، وإن تناهىٰ موجبًا

بمجرده لدخول الجنة، ولا عوضًا لها، فإن أعماله وإن وقعت منه علىٰ الوجه الذي يحبه الله ويرضاه؛ فهي لا تقاوم نعمة الله التي أنعمها عليه في الدار الدنيا، ولا تعادلها؛ بل لو حاسبه لوقعت أعماله كلها في مقابلة اليسير من نعم الله، وتبقىٰ بقية النعم مقتضية لشكرها؛ فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم له، ولو رحمه لكانت رحمته خيرًا له من عمله.

كما في حديث عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد وغيرهم بإسناد صحيح من طريق أبي سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي؛ قال: أتيت أُبيَّ بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر؛ فحدِّثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي.

فقال: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا في سبيل الله ما قبله الله منك حتىٰ تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مُتَّ علىٰ غير هذا دخلت النار».

قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان؛ فقال مثل ذلك، ثم أتيت زيد بن ثابت؛ فحدثني عن النبيﷺ مثل ذلك.

وهذا الحديث وإن كان موقوفًا من حديث أُبيٍّ بن كعب، وابن مسعود، وحذيفة؛ فهو له حكم المرفوع، وبخاصة أن له أصلًا مرفوعًا من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

٤- بين رسول الله أن سؤاله عظيم؛ لأن دخول الجنة والنجاة من النار أمر

عظيم جدًّا، ولأجله أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل.

٥- الأمر مهما كان عظيمًا وشديدًا وثقيلًا علىٰ الإنسان؛ فإذا وفقه الله إليه ويسره له -وذلك بطلب ذلك من رب العالمين- فإنه يصبح يسيرًا وسهلًا.

ولذلك قال رسول الله: «**إنه يسير علىٰ من يَسَّره الله عليه**»؛ فإن التوفيق كله بيد الله، فمن يسر الله عليه الهداية اهتدىٰ، ومن لم ييسر عليه لم ييسر له ذلك.

٦- أفضل الأعمال وأعلاها: عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، وهذا هو أول باب يدخل به العبد في الإيمان.

٧- الصلاة عمود الدين كما بينه في آخر هذا الحديث، ولذلك جعلها بعد توحيد الله في عبادته؛ لأهميتها في صلاح العبد.

٨- والأعمال التي تُقَرِّب من الجنة وتباعد عن النار علىٰ التوالي الزكاة ثم الصوم ثم الحج؛ لأنها مع الصلاة الأركان التي يقوم عليه بناء إسلام العبد.

٩- جواز زيادة المعلم في الإجابة لتلميذه إن علم أن فيها فائدة وإن لم يسأل عنها، ولذلك قال رسول اللهﷺ: «**ألا أدلك علىٰ أبواب الخير؟**».

١٠- أبواب الخير كثيرة، ولذلك أطلقها في الحديث ولم يحصرها، ولكنه دلَّه علىٰ أسباب ذلك وهي:

أ- أسباب وقائية، كالصوم؛ فإنه يكسر الشهوة، ولذلك تضعف النفس عن طلب المعاصي في الدنيا، وإذا كان جُنَّة في الدنيا من المعاصي؛ فهو حجاب في الآخرة من النار.

وهذا الكلام ثابت من وجوه كثيرة عن النبيﷺ.

ب- **أسباب علاجية**: فإن وقع العبد في الخطيئة؛ فعليه المسارعة إلىٰ علاج ذلك؛ فدلَّه علىٰ الصدقة وقيام الليل؛ فإنها تطفئ الخطيئة؛ كما يطفئ الماء النار.

وهما حلية الأولياء وبلغة الأتقياء؛ كما في آيات السجدة التي تلاها رسول الله ﷺ.

١١- الخوف والرجاء مقرونان مع بعضهما بعضًا؛ فلا ينفصلان عن بعضهما، ولا يكفي أحدهما دون الآخر.

١٢- استحباب ترك الفراش للقيام للصلاة مع ما فيها من المشقة علىٰ النفس.

١٣- استحباب الإنفاق مما رزق الله عباده.

١٤- لا أحد يعلم ما أُخفيَ له من جزاء ونعيم من رب العالمين مقابل ما عمل من طاعات وعبادات.

١٥- العباد تقرُّ أعينهم بما جزاهم الله علىٰ أعمالهم.

١٦- استحباب تمثيل المعلم لتلميذه الأمور التي يريد أن يُعلِّمها إياه بأشياء محسوسة له حتىٰ يسهل فهمها بسهولة.

١٧- أصل كل الحقائق والفضائل هو الإسلام؛ فهو قاعدة البناء.

١٨- بما أن الإسلام هو البناء؛ فلابد لهذا البناء من عمود يقوم عليه، وهو: الصلاة، وبه يقوىٰ البناء، ويزداد قوة وكمالًا، وبدونه يضعف وينهدم.

١٩- الجهاد في سبيل الله يجعل لهذا البناء رفعة وعُلوًّا، ولذلك؛ فهو من أفضل الأعمال وأعلاها مرتبة بعد أركان الإسلام.

٢٠- جواز الإشارة أو الأخذ بالكف للأمر الذي يريد أن ينبه عليه زيادة في التوكيد علىٰ بيانه، وتنبيهًا علىٰ صعوبة أمره.

٢١- كثرة الكلام لها مفاسد لا تحصىٰ.

٢٢- استحباب أن يترك المرء ما لا يعنيه من الكلام، فإن كثرة الكلام تؤدي إلىٰ السقط، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه.

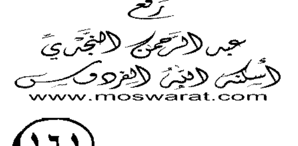
٢٣- بيان أن العبد يؤاخذ بجميع ما يقول كان ذلك جادًّا فيه أو لاعبًا.

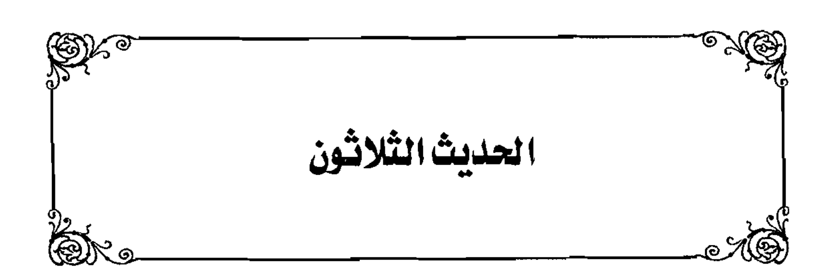
٢٤- جواز تأديب وتأنيب التلميذ بالدعاء عليه بأمر مشروع لغفلته.

٢٥- الذي يكبُّ الناس في النار ويوردهم المهالك هو ما يخرج عن هذا اللسان.

٢٦- امتهان من يُكبّ في النار بإلقائه علىٰ وجهه أو منخره حيث إن هذا الوجه هو موضع التعظيم من الجسم.

٢٧- تشبيه نبويّ بليغ يدل علىٰ البلاغة النبوية حيث شبه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس والجيد والرديء؛ فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام حسنًا وقبيحًا، ولذلك من زرع شرًّا من قول أو عمل حصد غدًا الندامة، نسأل الله السلامة يوم القيامة.





الحديث الثلاثون

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بْنِ نَاشِرٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ؛ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا؛ فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ؛ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ؛ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ؛ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**». حَدِيثٌ حَسَنٌ: رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ.

توثيق الحديث:

أخرجه الدارقطني (٤/ ١٨٤)، والبيهقي (١٠/ ١٢-١٣) من طريق داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة الخشني؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (وذكره).

قلت: إسناده ضعيف، فيه علتان:

الأولىٰ: أن مكحولًا لم يصحّ له سماع من أبي ثعلبة.

والثانية: اختلف في رفعه ووقفه علىٰ أبي ثعلبة.

وله شاهد من حديث أبي الدرداء؛ ولكنه واه لا يصلح للمتابعة، ولكن نذكره للمعرفة، وله عنه طريقان:

الأولىٰ: من طريق أصرم بن حوشب: حدثنا قرة بن خالد، عن الضحاك بن مزاحم، عن طاوس، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(وذكره).

قلت: أصرم بن حوشب كذاب.

الثانية: من طريق نهشل الخراساني بسنده إلىٰ أبي الدرداء.

قلت: نهشل الخراساني كذاب -أيضًا-.

ويغني عن حديث أبي ثعلبة ﷺ حديث أبي الدرداء ﷺ، بلفظ: «**ما أحلَّ الله في كتابه؛ فهو حلال، وما حرَّم؛ فهو حرام، وما سكت عنه؛ فهو عافية، فاقبلوا من الله العافية، فإن الله لم يكن نسيًّا**». ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

أخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٥)، وقال: صحيح الإسناد.

ووافقه الذهبي.

قلت: وهو كما قالا.

*** راوي الحديث:**

اختلف في اسمه واسم أبيه، والأشهر: أنه جرثوم بن ناشر، شهد بيعة الرضوان، وضرب له سهمه في خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ، نزل الشام بداريا غربي دمشق، روىٰ عن رسول الله ﷺ وجماعة من الصحابة ﷺ، وروىٰ عنه جَمْع من التابعين، وأخرج له الجماعة، توفي وهو ساجد سنة (٧٥هـ) ﷺ.

*** غريب الحديث:**

إنَّ الله فرض فرائض فلا تضيعوها: أوجب إيجابًا حتميًّا علىٰ عباده فرائض معلومة؛ كالصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، والحج إلىٰ غير ذلك.

فلا تضيعوها: لا تهملوها إما بترك أو بتهاون أو ببخسها أو نقصها.

حدَّ حدودًا: أوجب واجبات وحددها بشروط وقيود.

فلا تعتدوها: لا تتجاوزوها.

وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها: حرم أشياء مثل الشرك، والسحر، وقول الزور والربا، والزنا، وأكل مال اليتيم إلىٰ غير ذلك.

فلا تنتهكوها: فلا تقعوا فيها.

وسكت عن أشياء: لم يفرضها ولم يوجبها ولم يحرمها.

رحمة بكم: من أجل التخفيف عليكم.

من غير نسيان: فإن الله لا ينسىٰ كما قال تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢].

فهو تركها -جل وعلا- رحمة بالخلق، وليس نسيانًا لها.

فلا تسألوا عنها: لا تبحثوا عنها.

*** موضوع الحديث:**

الفرائض والمحرمات والمسكوت عنه.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر رسول الله ﷺ أن الله ﷻ فرض علىٰ العباد فرائض؛ فينبغي أن يحافظوا عليها صفة وزمانًا ومكانًا؛ إيمانًا واحتسابًا.

وحدَّ حدودًا هي زواجر وجوابر وكفارات فلا يتجاوزوها.

وحرم أمورًا كالشرك والموبقات صيانة للأمة؛ فلا يجوز أن يقترب منها العبد أو أن يقع فيها، فمن فعل ذلك؛ فقد انتهك حرمات الله.

وسكت عن أشياء؛ فلم يفرضها ولم يوجبها ولم يحرمها رحمة بالعباد ورفعًا للحرج عنهم، وهذا الترك من غير نسيان: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤].

ولذلك لا يجوز تكلف السؤال عنها والتنقير؛ فإن ذلك قد يوجب مشقة علىٰ العباد من حيث لا يعلمون.

فقه الحديث:

١- حسن بيان رسول الله ﷺ حيث ساق هذا التقسيم البين الواضح كالشمس.

٢- هذا الحديث يدل علىٰ كمال الشريعة من جميع النواحي التي تناسب الأجيال علىٰ مَرِّ السنين ومختلف العصور.

٣- سهولة الإسلام ويسره؛ وأنه خال من المشقة والحرج وما لا يطاق، بل هو فرائض تؤدىٰ، ومحرمات تترك، وعفو من الله؛ فاقبلوا عفوه.

٤- لا يجوز للمسلم أن يتعدىٰ حدود الله، ولا الغلو في الشرع.

٥- التشريع حق لله؛ فهو الذي يُحَلِّل ويحرم، والحكم لله وحده، وهو أحكم الحاكمين.

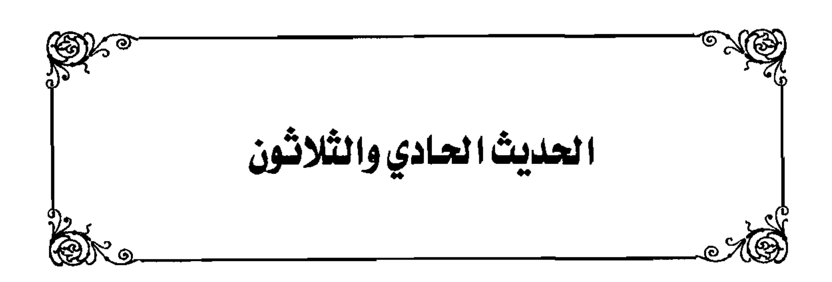
٦- لا يجوز السؤال إلا إذا دعت إليه الحاجة.

٧- بيان رحمة الله بعباده؛ حيث سكت عن أشياء رحمة بالخلق.

٨- النهي عن تتبع الدقائق والتنقير عن الأغلوطات التي لم يكلف الله بها عباده، ولم يشرعها لهم.

٩- تنزيه الله تعالىٰ عن النسيان وكل صفة نقص، وهذا يدل علىٰ أن له صفات الكمال ونعوت الجلال.

١٠- يدل علىٰ كمال علم الله، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا، فلا ينسىٰ ما علم، ولم يُسبق علمه جهل، بل هو بكل شيء عليم أزلًا وأبدًا.



الحديث الحادي والثلاثون

عَن أَبِي العَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: **«ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا؛ يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي عِنْدَ النَّاسِ؛ يُحِبَّكَ النَّاسُ»**. حديث حسن؛ رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٢-٢٥٣، ٧/ ١٣٦)، و«أخبار أصبهان» (٢/ ٢٤٤-٢٤٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٣٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٥٩٧٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٥٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٠)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص١٤١)، من طرق عن خالد بن عمرو القرشي، عن سفيان الثوري، عن أبي حازم عنه به.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

ورده الذهبي بقوله: «خالد وضاع».

وقال العقيلي: «وليس له في حديث الثوري أصل، وقد تابعه محمد بن كثير

الصنعاني، ولعله أخذه عنه ودلسه؛ لأن المشهور به خالد هذا».

قلت: وهذه المتابعة أخرجها: الخلعي في «الفوائد» (١٨/ ٦٧/ ١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢٣٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩٠٢).

قال ابن عدي: «ولا أدري ما أقول في رواية ابن كثير عن الثوري لهذا الحديث، فإن ابن كثير ثقة، وهذا الحديث عن الثوري منكر».

قلت: قول ابن عدي في ابن كثير: «ثقة»؛ فيه نظر؛ لأنه الصنعاني -كما ذكره العقيلي والخطيب-، وهو ضعيف مدلس.

قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/ ١٠٧): «سألت أبي عن حديث رواه علي بن ميمون الرقي، عن محمد بن كثير، عن سفيان (فذكره)؟ فقال أبي: هذا حديث باطل؛ يعني: بهذا الإسناد».

وتابعه -أيضًا- أبو قتادة، قال: ثنا سفيان به.

أخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسي في «المنتقىٰ من حديث أبي علي الأوقي » (٣/ ٢).

قلت: أبو قتادة -وهو عبد الله بن واقد الحراني- متروك، وكان يدلس، فلا تفيد هذه المتابعة شيئًا، ولعله تلقاه من خالد بن عمرو، ثم دلسه؛ كما قال العقيلي في متابعة ابن كثير.

فتبين بهذا أن مدار الحديث علىٰ خالد بن عمرو، وهو وضاع -كما سبق في كلام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومثله لا يقبل حديثه إلا علىٰ جهة التحذير.

ثم قال ابن عدي: «وقد روي عن زافر، عن محمد بن عيينة، أخو سفيان بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل.

وروي -أيضًا- من حديث زافر عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن ابن عمر».

قلت: هكذا ذكره معلقًا، وفيه علل:

الأولىٰ: زافر -وهو ابن سليمان-؛ فإنه صدوق كثير الأوهام، ونحوه محمد بن عيينة، فإنه صدوق له أوهام.

الثانية: الاضطراب؛ فقد جعله أحدهما من مسند سهل تارة؛ وأخرىٰ من مسند ابن عمر.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ١٦٢/ ٢)، من حديث ابن عمر، ولكن إسناده ساقط بمرة؛ لأن فيه أحمد بن محمد المغلس، وهو متروك؛ كما في «لسان الميزان» (١/ ٢٨)، وذكر هذا الحديث في ترجمته (١/ ٢٧٢) فقال: «ومن مناكيره روايته عن بشر الحافي، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه: «**ازهد في الدنيا يحبك الله** ...» الحديث.

رواه ابن عساكر في «تاريخه» عن الدينوري عن القزويني: حدثنا يوسف بن عمر القواس، عن محمد بن أحمد بن الحسن: ثنا أحمد بن المغلس: (فذكر قصة هذا فيها)، وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل؛ وإنما يعرف من حديث سهل بن سعد الساعدي بإسناد ضعيف ذكرته في غير هذا المكان».

قلت: وقد خفي أمر ابن المغلس علىٰ شيخنا؛ كما في «الصحيحة» (٢/ ٦٦٣).

وللحديث شاهد مرسل بلفظ: «**ازهد في الدنيا يحبك الله، وأما الناس؛ فانبذ إليهم هذا فيحبوك**».

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٤١): حدثنا أبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال المقري: ثنا أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أحمد الهمداني بالكوفة: ثنا أبو حفص عمر بن إبراهيم المستملي: ثنا أبو عبيدة بن أبي السفر: ثنا الحسن بن الربيع: ثنا المفضل بن يونس: ثنا إبراهيم بن أدهم، عن منصور، عن مجاهد، عن أنس: أن رجلًا أتىٰ النبيﷺ فقال: دلني علىٰ عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال لهﷺ: (وذكره).

وقال: «ذكر أنس في هذا الحديث وهم من عمر أو أبي أحمد، فقد رواه الأثبات عن الحسن بن الربيع، فلم يجاوز فيه مجاهد»، ثم ساقه بإسناده إلىٰ مجاهد».

وقال: «قال الحسن: قال المؤمل: لم يسند لنا إبراهيم بن أدهم حديثًا غير هذا».

ورواه طالوت عن إبراهيم، فلم يجاوز به إبراهيم، وقال: «فانظر ما كان في يديك من هذا الحطام، فانبذه إليهم؛ فإنهم سيحبونك».

وهو من حديث منصور ومجاهد عزيز، مشهوره ما رواه سفيان الثوري، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد».

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٥٣): «وقد روي هذا الحديث من وجه آخر مرسلًا: أخرجه أبو سليمان بن زبير الدمشقي في مسند إبراهيم بن أدهم» قد جمعه من رواية معاوية بن حفص، عن إبراهيم بن أدهم، عن منصور، عن ربعي بن خراش: (وذكره)».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «ذم الدنيا» من رواية علي بن بكار، عن إبراهيم (وذكره)، ولم يذكر في إسناده منصورًا ولا ربعيًّا.

قلت: بهذا يتبين أن هذا المرسل ضعيف؛ لأن فيه اضطراب واضح.

والخلاصة: أن طرق هذا الحديث وشواهده لا ترقىٰ إلىٰ تحسين الحديث، فضلًا عن أن يصحح؛ لأنها شديدة الضعف.

ولهذا ضعفه ابن حجر وغيره من أهل العلم، والله أعلم.

*** راوي الحديث:**

هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الساعدي الأنصاري، صحابي جليل ابن صحابي، ومن مشاهير الصحابة رضي الله عنهم، غيَّر النبي ﷺ اسمه، وكان حزنًا؛ فسماه: سهلًا.

وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة النبوية سنة (٩١هـ)، روىٰ له الجماعة.

*** غريب الحديث:**

دلني علىٰ عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس: أرشدني إلىٰ عمل

صالح ثمرته: حبّ الله وحبّ الناس.

ازهد في الدنيا: اترك من الدنيا ما لا ينفعك في الآخرة.

ازهد فيما عند الناس: لا تطلب من الناس شيئًا، ولا تتشوّق إليه، ولا تستشرف له، وكن أبعد الناس عن ذلك.

*** موضوع الحديث:**

الزهد في الدنيا.

*** الشرح الإجمالي:**

جاء رجل إلىٰ النبيﷺ صاحب هِمَّة عالية ونفس أبيَّة وطلب من رسول الله ﷺ أن يرشده إلىٰ عمل صالح إذا عمله أحبَّه الله وأحبَّه الناس.

فأرشده رسول اللهﷺ إلىٰ ترك فضول الدنيا وعدم التنافس علىٰ زهرتها، بل يأخذ منها ما احتاج إليه في دينه ودنياه؛ فإذا فعل ذلك أحبه الله.

وأرشده -أيضًا- إلىٰ ترك النظر إلىٰ ما في أيدي الناس، وعدم حسدهم علىٰ فضل آتاهم الله إياه؛ لأن الناس إذا سألهم الإنسان ما في أيديهم غضبوا واستثقلوه وكرهوه، فإذا كان بعيدًا عن ذلك؛ فإنهم يحبونه، ويطلبونه، ويتقربون إليه.

*** فقه الحديث:**

١- حرص الصحابة رضي الله عنهم علىٰ معرفة ما يقربهم من الله، وينفعهم في الناس؛ لتستقيم حياتهم معهم، وهو من باب جمع خيري الدنيا والآخرة.

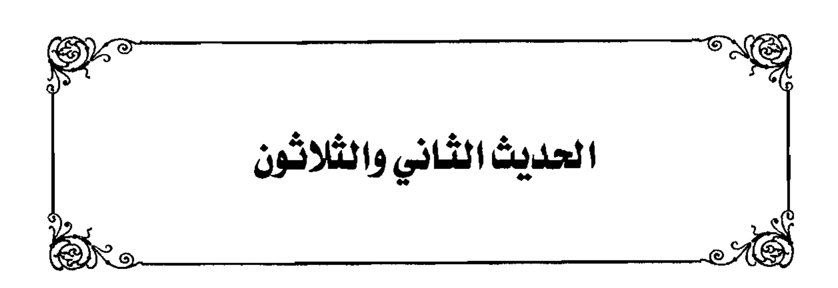
٢- من تقلَّل من الدنيا، وتطلع إلىٰ ما عند الله، واشتاق إلىٰ لقائه؛ أحبه الله؛ لأن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

٣- عدم التطلع إلىٰ ما في أيدي الناس مدعاة لمحبة الناس للداعي؛ ولذلك كان الرسل جميعًا لا يسألون الناس أجرًا.

٤- الإنسان بفطرته يرغب أن يحبَّه الله ويحبَّه الناس.

٥- الطمع في الدنيا والتعلُّق بها سبب لمقت الله للعبد، والطمع فيما عند الناس والترقب له يوجب بغض الناس للإنسان.

٦- الحديث فيه ترغيب في الدار الآخرة؛ لأن الدنيا والآخرة ضرتان؛ فمن ترك الدنيا رغب في الآخرة.



الحديث الثاني والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَغَيْرُهُمَا مُسْنَدًا.

وَرَوَاهُ مَالِكٌ فِي «الْمُوَطَّأ» مُرسَلًا؛ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَىٰ، عَن أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْقَطَ أَبَا سَعِيدٍ ﷺ، ولَهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

* **توثيق الحديث:**

أخرجه مالك (٢/ ٧٤٥) عن عمرو بن يحيىٰ المازني عن أبيه مرسلًا.

قلت: وهذا سند صحيح مرسل.

وروي موصولًا عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧-٥٨)، والبيهقي (٦/ ٦٩-٧٠)، والدارقطني (٤/ ٢٢٨) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمرو بن يحيىٰ المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد به.

والدراوردي -وإن كان ثقة من رجال مسلم-؛ فإن فيه كلامًا يسيرًا من قبل حفظه، فلا تقبل مخالفته لمالك، وهو جبل في الحفظ.

ولذلك؛ فالصواب الإرسال.

وللحديث شواهد عن جماعة من الصحابة؛ منهم: عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وثعلبة بن أبي مالك القرظي، وأبي لبابة، وعائشة -رضي الله عنهم جميعًا-.

وقد أوعب شيخنا حافظ الوقت وشامة الشام وحسنة الأيام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تخريجها، وبيان درجاتها في «إرواء الغليل» (٨٩٦)، و«السلسلة الصحيحة» (٢٥٠).

والحديث حسنه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٣/ ٢٦٢)، واحتج به الإمام مالك، وجزم بنسبته إلىٰ رسول الله ﷺ في «الموطأ» (٢/ ٨٠٥).

* **راوي الحديث:**

هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته، هو وأبوه صحابيان، وكان من أفقه الصحابة ومن علمائهم، ونجبائهم وفضلائهم، قُتِل أبوه يوم أحد ولم يشهدها؛ لأنه كان صغيرًا، وأول المشاهد التي حضرها الخندق، وَأَكْثَرَ من الرواية عن رسول الله ﷺ.

روىٰ عنه الخلفاء وكبار الصحابة وخلق كثير من التابعين، أخرج له الشيخان وأصحاب السنن، اُختلف في سنة وفاته، والأشهر: أنه توفي سنة أربع وسبعين من الهجرة.

*** غريب الحديث:**

لا ضرر: الضرر منفي شرعًا.

ولا ضرار: ولا مضارة.

*** موضوع الحديث:**

تحريم الضرر والضرار.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر الرسول ﷺ أن الشرع المُبين نفىٰ الضرر والضرار، وقد فرق العلماء بينهما من وجوه:

١- أن الضرر يحصل بلا قصد، وأن الضرار يحصل بقصد.

٢- أن الضرار أشد من الضرر.

٣- الضرر: أن يدخل علىٰ غيره ضررًا بما ينتفع هو به، والضرار: أن يدخل علىٰ غيره ضررًا بلا منفعة له.

٤- الضرر: أن يضر به من لا يضره، والضرار: أن يضر بمن قد أضر به علىٰ وجه غير جائز.

وبكل حال؛ فالنبي ﷺ إنما نفىٰ الضرر والضرار بغير حق، فأما إدخال الضرر علىٰ أحد يستحقه: إما لكونه تعدَّىٰ حدود الله؛ فيعاقب بقدر جريمته، أو كونه ظلم نفسه وغيره، فيطلب المظلوم مقابلته بالعدل؛ فهذا غير مراد قطعًا، وإنما المراد إلحاق الضرر بغير حق، وهذا علىٰ نوعين:

أحدهما: ألا يكون في ذلك غرض سوىٰ الضرر بذلك الغير، فهذا لا ريب في قبحه وتحريمه.

النوع الثاني: أن يكون له غرض آخر صحيح، مثل أن يتصرف في ملكه بما فيه مصلحة له، فيتعدىٰ ذلك إلىٰ ضرر غيره، أو يمنع غيره من الانتفاع بملكه توفيرًا، فيتضرر الممنوع بذلك.

*** فقه الحديث:**

١- الشريعة الإسلامية رفعت الحرج بكل وجوهه وأقسامه.

٢- الإضرار بالآخرين حرام بجميع صوره وأشكاله، ويدل علىٰ ذلك أن النهي عن الضرر أُطلق ولم يقيّد.

٣- من مقاصد الحديث: منع الضرر والإضرار قبل وقوعه، ورفعه إذا وقع.

٤- يحرر العبد من الأثرة، والتي تكون غالبًا علىٰ حساب غيره من الناس.

٥- ينبغي علىٰ العبد مراعاة غيره من الخلق، واعتبار شئونهم واحترامها.

٦- يزرع المودة والرحمة والمحبة بين المسلمين، ويُعزّز روابط الأخوة الإيمانية؛ لأنه يلغي الضرر والضرار.

٧- الحديث قاعدة كلية في رفع الحرج وتحريم الضرر؛ فكل ما فيه ضرر أو إضرار؛ فهو حرام شرعًا.

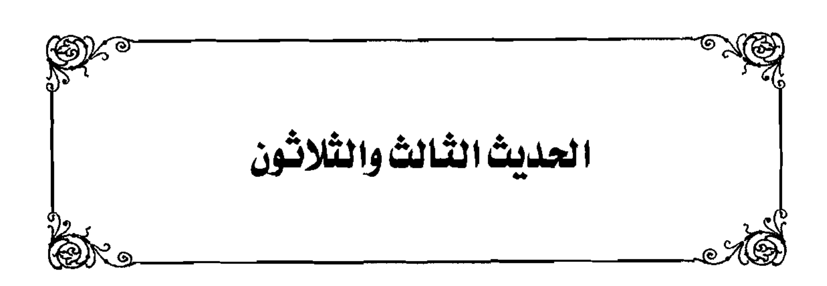
٨- الله ﷻ لم يكلف عباده فعل ما يضرهم ألبتة؛ لأن ما يأمرهم به عين صلاح دينهم ودنياهم، وما نهاهم عنه عين فساد دينهم ودنياهم.

٩- إذا كانت الشعائر تلحق الضرر بالعبد؛ فإنها تسقط عنه بحسب حاله؛ مثل إسقاط الطهارة عن المريض: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦].

وإسقاط الصيام عن المريض والمسافر؛ فقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وهذا يمكن مراجعته في باب الرخص.

١٠- ويدخل في هذا الباب: أن من عليه دَين لا يطالب مع إعسار، بل ينظر إلىٰ حال يساره؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠].



الحديث الثالث والثلاثون

عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَو يُعْطَىٰ النَّاسُ بِدَعْوَاهُم؛ لَادَّعَىٰ رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُم؛ لَكِن البَيِّنَةُ عَلَىٰ المُدَّعِي، وَاليَمِينُ عَلَىٰ مَن أَنْكَرَ».

حديث حسن؛ رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في «الصحيحين».

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٥٢) بهذا اللفظ من طريق ابن جريج، وعثمان بن الأسود، عن ابن أبي مليكة، قال: كنت قاضيًا لابن الزبير علىٰ الطائف، (فذكر قصة المرأتين)؛ فكتب إليَّ ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (فذكره بتمامه).

أخرجه النسائي (٨/ ٢٤٨)، وأحمد (١/ ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥١-٣٦٣)، والبيهقي (١٠/ ٢٥٢) من طرق عن نافع به.

قلت: وإسنادهما صحيح علىٰ شرط الشيخين.

وانظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢١٣ - فتح)، و«صحيح مسلم» (١٧١١).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث التاسع عشر.

*** غريب الحديث:**

«**لَو يُعْطَىٰ النَّاسُ بِدَعْوَاهُم**»: أي: بما يدعونه علىٰ غيرهم.

«**لَادَّعَىٰ رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُم**»: لولا اليمين والشهود والبينة لقام رجال واستباحوا أموال قوم ودماءهم وأعراضهم بالكذب والزور.

البينة علىٰ المدعي: أي يستحق بها ما ادعاه؛ لأنها واجبة يؤخذ بها.

اليمين علىٰ المدّعىٰ عليه: يبرأ بها؛ لأنها واجبة عليه يؤخذ بها علىٰ كل حال.

*** موضوع الحديث:**

ميزان القضاء بين الناس في الأموال والدماء.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر الرسول ﷺ عن أحوال كثير من الناس وأنهم لو تُركوا علىٰ مرادهم؛ لاستباحوا أموال العباد ودماءهم.

لكن الشرع حسم هذه القضية وردع ذوي الشرور والأهواء، فأوجب علىٰ المُدَّعي أمرًا علىٰ أخيه المسلم أن يأتيَ بالبينة الظاهرة والدليل الواضح والبرهان الجلي، فإن جاء بها؛ فقد استحق ما ادَّعاه، وإن قصَّر؛ فوجب اليمين علىٰ المدَّعىٰ عليه؛ ليدرأ عن ماله ودمه وعرضه الشبهة، وبه يعصم ماله ودمه وعرضه.

قال ابن المنذر في «الإجماع»: «أجمع أهل العلم علىٰ أن البينة علىٰ المدعي، واليمين علىٰ المدعىٰ عليه».

*** فقه الحديث:**

١- حرص الشريعة الغراء علىٰ حفظ أموال الناس ودمائهم.

٢- من وجب عليه اليمين، وقال: لا أحلف؛ فإنه يقضىٰ عليه بالنكول؛ فيحكم عليه بما ادعاه خصمه.

٣- أحكام الشريعة الإسلامية معلَّلة؛ فالبينة قررتها الشريعة حتىٰ لا يدعي رجالٌ دماء رجال وأموالهم.

٤- الله حكيم بعباده خبير بهم؛ شرع لهم من الأحكام ما يناسبهم ويتناسب مع أحوالهم.

٥- يوجد بين الناس من لا تقوىٰ عنده؛ فيدعي دماء أناس وأموالهم.

٦- يربي الحديثُ العبدَ علىٰ وجوب التثبت في كل شئونه.

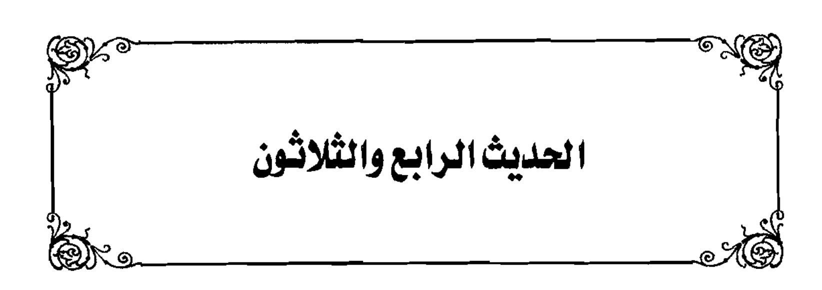
٧- كل دعوىٰ لا دليل عليها لا تقبل.

٨- الأصل في الإنسان المسلم البراءة من كل تهمة ونقيصة حتىٰ تثبت بالبينة والدليل، وهذا بعكس ما تقرره القوانين الوضعية في كثير من أحكامها أن المدعىٰ عليه متهم حتىٰ تثبت براءته.

٩- الشرع يربي العباد علىٰ تعظيم الله ومراقبته؛ ولذلك اكتفىٰ من المدَّعىٰ عليه بمجرد اليمين؛ فالأصل في المسلم أن يعظم الله والحلف به.

١٠- الحديث أصل في باب القضاء.





الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؛ فَبِقَلْبِهِ، وَذَٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

* **توثيق الحديث:**

أخرجه مسلم (٤٩).

هذا الحديث أصل في تغيير المنكر، ولذلك عدَّه أهل العلم من الأحاديث التي عليها مدار الدين، حتىٰ قيل إنه شطر الشريعة، بل قيل: إنه الإسلام كله؛ لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به، أو منكر يجب النهي عنه.

* **راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي سعيد الخدري ﷺ في الحديث الثاني والثلاثين.

* **غريب الحديث:**

رأىٰ: علم.

فليغيره: يحوّله إلىٰ معروف أو يقلله.

فإن لم يستطع: بأن خاف علىٰ نفسه أو كان أخرس.

أضعف الإيمان: أقله ثمرة.

*** موضوع الحديث:**

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان مراتبه.

*** الشرح الإجمالي:**

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص هذه الأمة الإسلامية المختارة، ولذلك أوجب الشرع علىٰ كل من رأىٰ منكرًا بعينه، أو علم به أن ينكره، ولكن هذا الوجوب بحسب القدرة والوسع والطاقة.

المرتبة الأولىٰ: التغيير باليد، وهذا خاص بمن كان له قدرة اليد؛ كالإمام أو نوابه أو الرجل في بيته، ومن له ولاية شرعية عليهم، وذلك بمنعه مطلقًا، أو بتحويله إلىٰ مباح، أو تقليله وتحجيمه، ودفع ضرره وشره.

المرتبة الثانية: التغيير باللسان، وذلك بأن يُبيّن للفاعل أنَّ ما يقوم به حرام ومنكر ويغضب الله، وأن يذكّره بقوله: اتق الله أو اتركه أو ما شابه ذلك، ويدخل في ذلك بيان مضار المعاصي وآثار الذنوب؛ فإن ذلك تغييرٌ للمنكر باللسان.

المرتبة الثالثة: التغيير بالقلب؛ فهو فرض علىٰ كلِّ مسلم في كلِّ حال؛ وهو: أن يعلم الله من قلبه أنه كاره للمنكر سواء شهده أو علمه، فإن من شهد خطيئة؛ فكرهها بقلبه، كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بيده أو بلسانه.

وهذه المرتبة أضعف الإيمان كونه لا يستطيع أن يغير المنكر إلا بقلبه.

*** فقه الحديث:**

١- وجوب تغيير المنكر بكل وسيلة ممكنة، وهو علىٰ درجات.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسئولية كل فرد من الأمة الإسلامية وكل بحسبه.

٣- فيه بيان مراتب تغيير المنكر وهي:

أ- الإنكار باليد واللسان؛ فإنما يجب بحسب القدرة والطاقة.

ب- الإنكار بالقلب فرض علىٰ كلِّ مسلم في كلِّ حال، فإنه إن لم ينكر قلبه المنكر؛ دلَّ علىٰ ذهاب الإيمان منه.

٤- فيه دليل علىٰ أن أعمال القلوب واللسان والجوارح تدخل في الإيمان.

٥- فيه تعريف شامل للإيمان، وأنه إقرار بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان.

٦- يسر الشريعة الإسلامية حيث رتبت هذه الواجبات حسب القدرة.

٧- المؤمنون منهم القوي ومنهم الضعيف، والقوي أحب إلىٰ الله من الضعيف، وفي كلٍّ خير.

٨- فيه حض علىٰ الدعوة إلىٰ الله في المساجد والأماكن العامة؛ فيبين للناس الخير، ويحذرهم من الشر، ويأمرهم وينهاهم، ويرغبهم ويرهبهم.

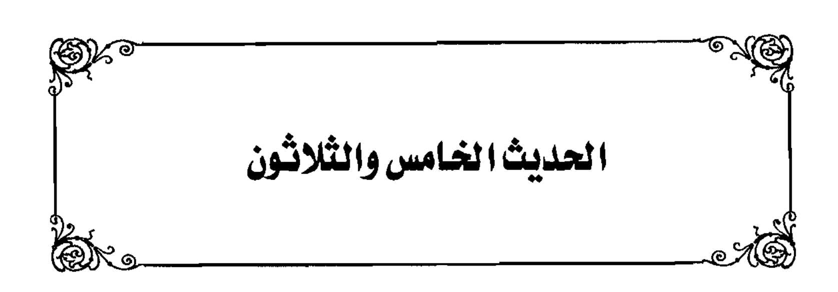
٩- يربي المسلم علىٰ تحمل المسئولية، فهو يعنيه أمر غيره، ويحرص علىٰ سلامة مجتمعه من الذنوب والمعاصي، ولذلك قال: **«من رأىٰ منكم منكرًا؛ فليغيره»**.

١٠- يربي المسلم علىٰ المبادرة الفاعلة؛ فيصلح الأخطاء، ويصحح العيوب،

ويغير المنكر ولا يقف حائرًا مكتوف اليدين كأن الأمر لا يعنيه.

١١- من لم يستطع أمرًا؛ فليجاوزه إلىٰ ما يستطيع.

١٢- المنكر الذي يغير هو المنكر الظاهر، أما ما كان مستورًا أو خفيًّا؛ فلا يبحث عنه، ولذلك لا يجوز التصنت علىٰ المكالمات الهاتفية أو التتبع للعورات، فمن تتبع عورة امرئ مسلم تتبع الله عورته وفضحه في عقر داره.



الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا». وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّات «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

*** توثيق الحديث:**

رواه مسلم (٢٥٦٤).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

لا تحاسدوا: لا يحسد بعضكم بعضًا، والحسد: تمني زوال النعمة.

لا تناجسوا: أن يزيد في ثمن السلعة ينادي عليها في السوق، ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يَغُرَّ غيره.

لا تباغضوا: لا يبغض بعضكم بعضًا في غير الله.

لا تدابروا: أن يُعرض عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء وراء ظهره.

لا يخذله: لا يترك نصرته.

بحسب امرئ من الشر بأن يحقر أخاه المسلم: كافيه من الشر احتقار المسلمين.

عرضه: حسبه ومكارمه بأن ينتهك بالسَّبِّ والغيبة والافتراء والقذف.

*** موضوع الحديث:**

من حقوق المسلم علىٰ أخيه المسلم.

*** الشرح الإجمالي:**

ينهىٰ رسول الله ﷺ عن الأخلاق السيئة من الحسد والتدابر والتباغض؛ لأنها تُمزق المجتمع المسلم، وتذهب ريحه، وتمكن للأعداء من التسلل إليه وإفساده.

وكذلك ينهىٰ عن معاملات محرمة وبخاصة في البيوع؛ فلا يجوز للمسلم أن يبيع علىٰ بيع أخيه.

ثم بين رسول الله أن المسلم أخو المسلم ينصره، ويذب عن عرضه، ولا يتَّهمه بالكذب دون بينة وبرهان، ولا يحتقره ويقلّل من شأنه؛ فإن هذا يكفيه من الإثم إن فعله.

ثم بيَّن رسول الله ﷺ أن الدافع وراء كل خير هو تقوىٰ القلوب، وأنها إذا

ضعفت أو ذهبت دب إلىٰ القلب داء الأمم، ثم بيَّن رسول الله ﷺ أن دماء المسلمين معصومة لا يجوز أن تسفك، أو تهدر، وأعراضهم مصونة لا يجوز أن تنتهك، وأموالهم محفوظة لا يجوز أن تسلب أو تغتصب، ولا يحل شيء من ذلك إلا بحق الإسلام.

*** فقه الحديث:**

١- تحريم الحسد وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وقد كان ذنب إبليس -عليه لعنة الله-؛ حيث حسد آدم عليه السلام لما رآه قد فاق علىٰ الملائكة بأن خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كلِّ شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعىٰ في إخراجه من الجنة؛ حتىٰ أُخرج منها.

وهو وصف مركوز في نفوس اليهود؛ فقد قال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وهو داء الأمم الذي إذا فشا في أمة أو قوم أهلكهم.

٢- تحريم بيع النجش؛ لأنه يقوم علىٰ الغش والخداع والغرر والضرر.

٣- الهجر بين المسلمين الذي يؤدي إلىٰ التدابر والتقاطع حرام؛ فإن المسلمين جعلهم الله إخوة، والإخوة يتحابون بينهم ولا يتباغضون.

وقد حرم الله علىٰ المؤمنين ما يوقع بينهم العداوة والبغضاء؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

وامتنَّ علىٰ عباده بالتأليف بين قلوبهم؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

٤- البيع علىٰ البيع حرام، وقد تكاثر النهي عن ذلك حتىٰ بلغ حدَّ التواتر.

٥- كَرَمُ الخلق عند الله بالتقوىٰ، فربّ من يحقره الناس؛ لضعفه وقلة حظه في الدنيا وهو أعظم قدرًا عند الله ممن له قدر في الدنيا.

٦- احتقار المؤمنين يؤدي إلىٰ الكبر، والكبر من أعظم خصال الشر.

٧- لا يحق إيصال الأذىٰ إلىٰ المسلم بوجه من الوجوه من قول أو فعل أو إيماء بغير حق.

٨- المعاملات الدنيوية من بيع وشراء ونكاح يجب أن يُراعىٰ فيها جانب الأخوة الإيمانية.

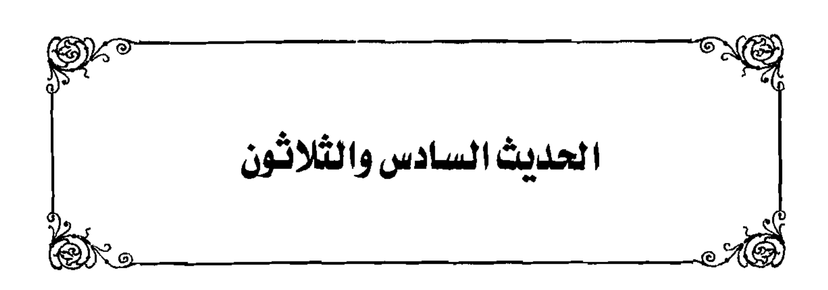
٩- النصح لكل مسلم واجب، وصفاء القلب له فرض: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر:١٠].

١٠- الأخوة الإيمانية وجمع الكلمة علىٰ منهج الله من مقاصد الشريعة الغراء.

١١- التفاضل في الدنيا لا يدلُّ علىٰ حبِّ الله؛ لأن ميزان الكرم عند الله هو التقوىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

١٢- تكرار الكلمة المهمة لبيان موضع الاعتناء بها، وموطن العبرة وفهمها، ولذلك قال: «**التقوىٰ هاهنا**»، وأشار إلىٰ صدره ثلاث مرات.

١٣- هذا الحديث أصل في الآداب الإسلامية.



الحديث السادس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا؛ سَهَّلَ الله لَهُ به طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِهَذَا اللَّفْظِ.

* توثيق الحديث:

أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

* راوي الحديث:

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

نفَّس: أزال وفرَّج.

كربة: الشِّدَّة والضيق والضنك.

يسَّر علىٰ معسر: بالإبراء أن تصدق عليه، أو بالإنظار إلىٰ ميسرة.

ستر مسلمًا: ستر عيبه سواء أكان خُلُقِيًّا أو دينيًّا أو دنيويًّا؛ بأن غطاه حتىٰ لا يظهر للناس.

ستره الله في الدنيا والآخرة: حجب عيوبه عن الناس في الدنيا والآخرة.

الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: الله يعين العبد علىٰ قدر معونته لأخيه المسلم كمًّا وكيفًا وزمانًا.

سلك طريقًا: دخل طريقًا وسار فيه.

يلتمس فيه علمًا: يطلب العلم الشرعي.

وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله: المراد المساجد؛ لأنها بيوت الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور:٣٦].

يتلون كتاب الله ويتدارسونه: يقرءونه ويعلم بعضهم بعضًا.

نزلت عليهم السكينة: نزلت الطمأنينة في قلوبهم.

غشيتهم الرحمة: غطتهم وشملتهم رحمة الله.

حفتهم الملائكة: صارت حولهم.

ذكرهم الله فيمن عنده: من الملائكة الكرام.

بطأ به عمله: تأخر من أجل عمله السيئ.

لم يسرع به نسبه: نسبه ولو كان شريفًا لا يغنيه ولا يرفعه ولا يقدمه.

*** موضوع الحديث:**

معاملات إيمانية ومواقف ربانية.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر رسول الله ﷺ عن مجموع معاملات إيمانية ومواقف إيمانية، وهي:

١- تنفيس الكربات علىٰ المسلمين.

٢- والتيسير علىٰ المعسرين.

٣- والستر علىٰ المخطئين.

٤- وتقديم العون للمحتاجين.

٥- طلب العلم.

٦- وتدارس القرآن.

وهذه الشعائر توثق عرىٰ التواصل بين المسلمين، وتُقوِّي روابط الأخوة بين المؤمنين، وتجعل المجتمع المسلم في حفظ رب العالمين وعونه ومدده.

*** فقه الحديث:**

١- إعانة الملهوف والتفريج عن الكروب قربة إلىٰ الله وسبب في رحمة

الله لعبده يوم القيامة.

٢- يُستحب التيسير علىٰ المعسر، وفيه فضل القرض الحسن بين المسلمين.

٣- إعانة العبد لأخيه المسلم سبب في عون الله للعبد.

٤- الحرص علىٰ طلب العلم الشرعي الذي يوصل إلىٰ مرضاة الله والتي بها ندخل الجنة -إن شاء الله-.

٥- فضل الرحلة في طلب العلم وكذلك السفر والغربة من أجله.

٦- أفضل العلوم العناية بكتاب الله قراءة وإقراءً، وتعلمًا وتعليمًا، وفقهًا وتدبرًا.

٧- تُنال سعادة الأبد بالأعمال الصالحة لا بالأحساب والأنساب.

قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن بصوت واحد؛ فليس مما يشمله الحديث؛ لأنه بدعة محدثة لم تكن في عهد السلف؛ كما قرره الإمام الشاطبي في «الاعتصام»، وأنكره الإمام مالك وغيره كما في «التبيان» للنووي رَحِمَهُ اللَّهُ».

٨- يوم القيامة فيه كربات وأهوال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج:١-٢].

٩- الجزاء من جنس العمل، وجزاء الإحسان إحسان.

١٠- ستر المسلم وإخفاء عيوبه والنصح له واجب، وبخاصة ذوي الهيئات

ما لم يتضمن الستر مفسدة كبرىٰ؛ كالتستر علىٰ المجرمين، وأهل البغي، وقُطَّاع الطرق، وتجار المخدرات، ومروجي الفتن، والذين يشيعون الفاحشة بين المسلمين.

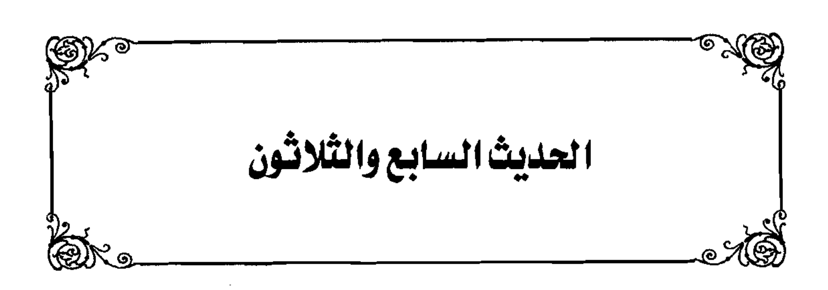
١١- الحث علىٰ اختيار الجليس الصالح الذي تتدارس معه كتاب الله.

١٢- تعظيم قدر رسالة المسجد، وأنه ليس للصلاة فقط، بل تعقد فيه مجالس العلم، وحلق القرآن؛ فعلىٰ المسلمين جعل مساجدهم مجالس علم وذكر وتربية.

١٣- من ذَكَرَ الله ذَكَرَهُ الله في الملأ الأعلىٰ.

١٤- جزاء الله أعظم من عمل العبد، وهذا يدل علىٰ فضله وإحسانه؛ فالعبد يعمل قليلًا؛ فيتقبله الله، ويجازي عليه كثيرًا.

١٥- لا يجوز التفاخر بالأنساب والتغني بالأحساب؛ فهو غير معتبر شرعًا، بل هو من عُبِّية الجاهلية، وتفاخرها بالآباء.



الحديث السابع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَٰلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ومُسْلِمٌ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» بِهَذِهِ الْحُرُوفِ.

فَانْظُرْ يَا أَخِي -وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ- إِلَىٰ عَظِيمِ لُطْفِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَأَمَّلْ هِذِهِ الأَلْفَاظِ.

وَقَوْلُهُ: «**عِنْدَهُ**». إِشَارَةٌ إِلَىٰ الاعْتِنَاءِ بِهَا.

وَقَوْلُهُ: «**كَامِلَةً**» فَإِنَّهُ لِلتَّأْكِيدِ وَشِدَّةِ الاعْتِنَاءِ بِهَا.

وَقَالَ فِي السَّيِّئَةِ الَّتِي هَمَّ بِهَا، ثُمَّ تَرَكَهَا: «**كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**». فَأَكَّدَهَا بـ: «**كَامِلَة**».

«**وَإِن عَمِلَهَا كَتَبَهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». فَأَكَّدَ تَقْلِيلَهَا بـ: «**وَاحِدَةً**»، وَلَمْ يُؤَكِّدْهَا

بـ: «كَامِلَةً».

فَلله الْحَمدُ وَالْمِنَّةُ، لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، وَبِالله التَّوْفِيقُ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١١/ ٣٢٣-فتح)، ومسلم (١٣١).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث التاسع عشر.

*** غريب الحديث:**

فيما يرويه عن ربه: أي: من الأحاديث الإلهية -القدسية- وهو مما تلقاه ﷺ عن ربه بلا واسطة إلهامًا، أو رؤيا في المنام، أو بواسطة الملك مع إسناده لها عن ربه وإضافتها له، ويختلف عن القرآن بأنه غير متعبد بتلاوته.

إن الله كتب الحسنات والسيئات: كتب ثوابهما وكتب فعلهما.

همَّ: عزم وأراد.

*** موضوع الحديث:**

كتابة الحسنات والسيئات ومراتب ذلك.

*** الشرح الإجمالي:**

يخبر الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه: أن الله كتب ثواب الحسنات وجزاء السيئات، وكتب فعلهما، وهذه هي الكتابة الثانية والتي هي كتابة جزاء ذلك، ثم وضح الله تبارك وتعالى مراتب ذلك:

١- من عزم علىٰ فعل الحسنة ولم يفعلها، كتبها الله حسنة كاملة؛ لصحة عزمه وصحة نيته.

٢- من فعل الحسنة؛ كتبها الله عشر حسنات كاملات، وضاعفها إلىٰ سبعمائة ضعف، وهذا من فضل الله علىٰ عباده.

٣- من عزم علىٰ فعل سيئة، ثم تراجع عن هذه الإرادة؛ أثابه الله علىٰ هذا الرجوع حسنة كاملة.

٤- من عمل السيئة كتبها الله سيئة واحدة.

وهو حديث دال علىٰ عظيم لطف الله بعباده، وسعة رحمته، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه خلقهم ليرحمهم، فلا نعدم خيرًا من ربٍّ هذه صفته، وهذا فضله، وهذه رحمته؛ فله الحمد في الأولىٰ والآخرة؛ كما ينبغي لوجهه وعظيم سلطانه.

*** فقه الحديث:**

١- كمال علم الله الذي لا تعزب عنه مثقال ذرة في السماء أو في الأرض ولا أصغر من ذلك، ولا تخفىٰ عليه خافية.

٢- من أعمال الملائكة كتابة الحسنات والسيئات، فقد وكل الله بالعبد حفظة كرامًا كاتبين يعلمون ما يفعل، ويستنسخون ما يعمل، أحصاه الله ونسوه.

٣- سعة رحمة الله وفضله وعظيم كرمه فقد جعل العدل في السيئة؛ فلم يضاعفها، والعفو في الهم بها، والفضل في الحسنة؛ فضاعفها، والكرم في الإثابة عليها بمجرد الهم.

٤- التفكر في الحسنات سبب في عملها.

٥- التذكر قبل السيئات يردع عنها.

٦- كتب الله للحسنات ثوابًا وللسيئات عقابًا، وهذا من تمام عدله وإحكامه -جل وعلا- للأمور.

٧- رحمة الله سبقت غضبه؛ حيث جعل الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وأما السيئة فواحدة.

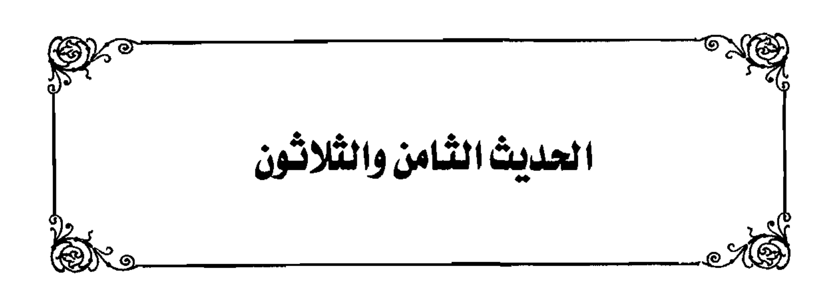
٨- التفريق بين الهمِّ بالحسنة والهمِّ بالسيئة؛ فالحسنة إذا همَّ بها العبد ولم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، وأما السيئة؛ فمن همَّ بها ولم يعملها مخافة من الله كتبها الله له حسنة، وأما من تركها عجزًا كُتب له وزر الفاعل بالنية.

٩- هذا الحديث دليل لمذهب أهل السنة والجماعة علىٰ أن الله كتب الحسنات والسيئات وقدرهما.

١٠- فيه حضٌّ صريح علىٰ النية الصالحة والهمة الصادقة، وقد قيل: نية المؤمن خيرٌ من عمله.

١١- الترغيب في الخير، والترهيب من الشَّرِّ من أساليب الدعوة إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.





الحديث الثامن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

توثيق الحديث:

أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٠-٣٤١- فتح)، وزاد في آخره: «وما تردَّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن: يكره الموت، وأنا أكره مساءته».

وهذا الحديث من الأحاديث القلائل التي انتقدها العلماء علىٰ البخاري ﵀ كالإمام الذهبي وغيره.

ولكن الحافظ ابن حجر ﵀ أطال النفس في ذكر شواهده التي تدل بمجموعها أنَّ له أصلًا.

وجاء شيخنا الألباني ﵀ وفصَّلها تفصيلًا حسنًا، وبسط القول فيها

تصحيحًا وتضعيفًا، ثم قال في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٩٠): «وخلاصة القول: إن أكثر هذه الشواهد لا تصلح لتقوية الحديث بها، إما لشدة ضعف إسناده، وإما لاختصارها، اللهم إلا حديث عائشة، وحديث أنس بطريقيه؛ فإنهما إذا ضما إلىٰ إسناد حديث أبي هريرة اعتضد الحديث بمجموعهما وارتقىٰ إلىٰ درجة الصحيح -إن شاء الله تعالىٰ- وقد صحَّحه من سبق ذكره من العلماء».

قلت: وقع في بعض النسخ الخطية زيادة: «**وإذا استنصرني نصرته**»، وهي ليست في البخاري قطعًا، وإنما في حديث أبي أمامة، وهو ضعيف لا يصح؛ ضعفه الحافظ وشيخنا -رحمهما الله-.

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أبي هريرة ﷺ في الحديث التاسع.

*** غريب الحديث:**

عادىٰ: من المعاداة، وهي ضد الموالاة.

الولي: ضد العدو، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

آذنته: أعلمته، وأعلنت الحرب عليه.

مما افترضت عليه: الفرائض؛ كالصلوات الخمس، وصيام رمضان، والزكاة، وحج البيت.

النوافل: عبادة التطوع من صلاة وصيام وصدقة وغير ذلك.

كنت سمعه الذي يسمع به: سددته في كل ما يسمع؛ فلا يسمع إلا الخير.

ويده التي يبطش بها: يسدده الله في عمل يده؛ فلا يعمل إلا ما فيه خير.

ولئن سألني لأعطينه: إذا دعاني بشيء وطلب مني شيئًا أعطيته.

ولئن استعاذ بي لأعيذنه: إذا التجأ إليَّ واحتمىٰ بي أعذته مما استعاذ.

*** موضوع الحديث:**

أولياء الله وصفاتهم وخطورة معاداتهم.

*** الشرح الإجمالي:**

هذا الحديث أشرف حديث في الأولياء؛ حيث يخبر رسول الله ﷺ عن ربه تعالىٰ: أن من عادىٰ أولياءه، فقد صار حربًا لله، ومن كان كذلك؛ فهو مهزوم مقهور مدحور لا محالة.

ثم ذكر تعالىٰ أسباب الولاية، وهي:

١- القيام بالفرائض التي شرعها الله أمرًا أو نهيًا.

٢- الاستمرار علىٰ عمل النوافل من الطاعات؛ فإنها بريد إلىٰ محبة الله لعبده، ثم شرع الله في بيان ما أعده لأوليائه في الحياة الدنيا:

أ- يسددهم في سمعهم وبصرهم وعمل جوارحهم فلا يقولون ولا يعملون إلا ما فيه خير لأنفسهم وأمتهم.

ب- إجابة دعائهم وحفظهم من كل ما يكرهونه.

فقه الحديث:

١- إثبات الولاية لله ﷻ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

٢- إثبات كرامات الأولياء، وأعلىٰ ذلك هو الاستقامة علىٰ ما أمر الله، وفي ذلك رَدٌّ علىٰ الصوفية الذين يزعمون: أن من نال درجة الولاية سقطت عنه التكاليف، فمن تأمل الحديث علم أن الولي يزداد حفاظًا علىٰ التكاليف الشرعية؛ فهو يؤدي الفرائض ويحافظ علىٰ النوافل.

٣- معاداة أولياء الله وإيذاؤهم من كبائر الذنوب؛ لأن الله جعل ذلك إعلانًا للحرب.

٤- حقيقة الولاية هي القيام بالعبودية لرب العالمين، ولذلك أعاد كلمة: «**عبدي**» مرتين.

٥- الفريضة أحب إلىٰ الله من النافلة، وكلها يحبها الله.

٦- إثبات محبة الله ﷻ لعباده، والمحبة صفة قائمة بذات الله ﷻ، ومن ثمراتها الإحسان إلىٰ المحبوب وثوابه وقربه من الله ﷻ.

٧- الحديث يدل علىٰ أن مراتب الأعمال تتفاوت وتتفاضل هي بنفسها.

٨- دليل لأهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص.

٩- من ثمار محبة الله لعبده: أن يسدده في كل شئونه، ويؤيده في كل أحواله، ويعينه في جميع أموره.

١٠- الحديث يبعث الطمأنينة في نفس المؤمن، ويملأ قلبه بالسكينة؛ لأن الله يدافع عنه، وتكفل بالانتقام له من أعدائه، والمطلوب منه رعاية إيمانه والاستقامة علىٰ منهج الله؛ فيكون المؤمن إذا ابتلي مشغولًا بحفظ دينه غير ناظر إلىٰ عدوه؛ لأن الله تكفل فيه.

١١- الحديث يربي المؤمن علىٰ مكارم الأخلاق الآتية:

أ- المحافظة علىٰ العمل الصالح والاستمرار فيه ليلتمس محبة الله ﷻ .

ب- الافتقار إلىٰ الله؛ فإن ما حصل للمؤمن من طاعات وصالحات وخيرات إنما هو بتوفيق الله.

ت- يربي المؤمن علىٰ محبة الله؛ لأن أصل الطاعة وأساسها محبة الله في القلب؛ فمن أحب الله أطاعه، وكلما قويت المحبة زادت الطاعة.

ث- يربي المؤمن علىٰ مخالفة الهوىٰ والابتعاد عن شرور النفس ويزهد في الدنيا.

١٢- الجزع من الموت وعدم محبته لا إثم فيه؛ لقوله تعالىٰ في وصف المؤمن: «**يكره الموت**».

١٣- قوله تعالىٰ في هذا الحديث القدسي: «**أكره مساءته**». يدل علىٰ شدة سكرات الموت وصعوبة غمراته؛ ولذلك سماها الله «**مساءة**»؛ نسأل الله أن يهون علينا سكرات الموت.

١٤- **قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»**: «فمتىٰ امتلأ القلب

بعظمة الله تعالىٰ؛ محا ذلك من القلب كلَّ ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق؛ نطق بالله، وإن سمع؛ سمع به، وإن نظر؛ نظر به، وإن بطش؛ بطش به، فهذا هو المراد بقوله: «**كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**».

ومن أشار إلىٰ غير هذا؛ فإنما يشير إلىٰ الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه».

١٥ - **قال شيخنا الإمام الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٩١-١٩٣)**: «ثم إن لشيخ الإسلام جوابًا قيمًا علىٰ سؤال حول التردُّد المذكور في هذا الحديث، أنقله هنا بشيء من الاختصار؛ لعزته وأهميته، قال -رحمه الله تعالىٰ- في «المجموع» (١٨/ ١٢٩-١٣١): «هذا حديث شريف، وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء، وقد رد هذا الكلام طائفة، وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، فإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب، وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة المتردد!!

والتحقيق: أن كلام رسوله حق وليس أحد أعلم بالله من رسوله، ولا أنصح للأمة، ولا أفصح ولا أحسن بيانًا منه، فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس، وأجهلهم وأسوئهم أدبًا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة، والاعتقادات الفاسدة.

ولكن المتردد منا، وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة

الأمور [فإنه] لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا؛ فإن الله ليس كمثله شيء.

ثم هذا باطل [علىٰ إطلاقه]؛ فإن الواحد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد، الذي يُحب من وجه ويُكره من وجه؛ كما قيل:

الشيب كره وكره أن أفارقه فاعجب لشيء علىٰ البغضاء محبوب

وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي «الصحيح»: «**حُفَّت النار بالشهوات، وحُفَّت الجنة بالمكاره**»، وقال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

ومن هذا الباب يظهر معنىٰ التردد المذكور في الحديث؛ فإنه قال: «**لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه**».

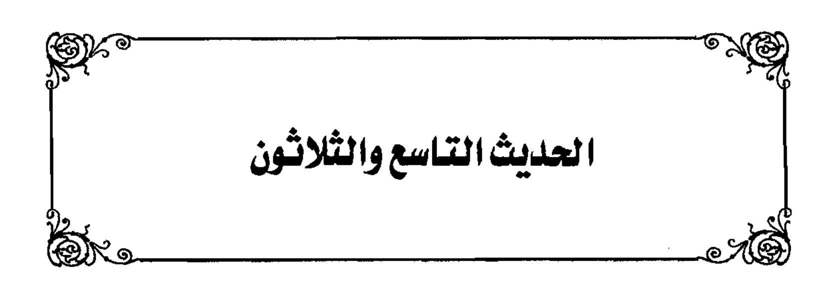
فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبًا للحق محبًّا له ، يتقرب إليه أولًا بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتىٰ بكل ما يقدر عليه من محبوب الحقِّ.

فأحبّه الحقُّ لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة، بحيث يحب ما يحبه محبوبه، ويكره ما يكرهه محبوبه، والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه؛ فلزم من هذا أن يكره الموت؛ ليزداد من محاب محبوبه.

والله سبحانه قد قضىٰ بالموت، فكل ما قضىٰ به؛ فهو يريده ولابدّ منه، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادًا للحق من وجه مكروهًا له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد مرادًا من وجه مكروهًا من وجه، وإن كان لابدّ من ترجح أحد الجانبين، كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة مساءة عبده.

وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته».

وقال في مكان آخر (١٠/ ٥٨-٥٩): «فبين سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، فهو سبحانه يحب ما يحب عبده، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت، فهو يكرهه؛ كما قال: «**وأنا أكره مساءته**»، وهو سبحانه قد قضىٰ بالموت؛ فهو يريد أن يموت، فسمىٰ ذلك: ترددًا، ثم بين أنه لابدّ من وقوع ذلك».



الحديث التاسع والثلاثون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**».

حَدِيْثٌ حَسَنٌ: رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٣٥٦-٣٥٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤٥) من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**إن الله وضع عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**».

قلت: وهذا إسناد ضعيف، وعلته الانقطاع بين عطاء وابن عباس، وقد أشار إلىٰ ذلك البوصيري في «الزوائد»، فقال: «إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع، والظاهر: أنه منقطع؛ بدليل زيادة عبيد بن عمير في الطريق الثاني، وليس ببعيد أن يكون السقط من جهة الوليد بن مسلم؛ فإنه كان يدلس».

قلت: يريد تدليس التسوية، وإليه أشار البيهقي، فقال: «ورواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي، فلم يذكر في إسناده عبيد بن عمير».

والطريق التي فيها عبيد بن عمير أخرجها: البيهقي (٧/ ٣٥٦)، والدارقطني (٤/ ١٧٠-١٧١)، وابن حزم في «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ١٤٩)، والحاكم (٢/ ١٩٨)، وابن حبان (٧٢١٩)، من طريق بشر بن بكر وأيوب بن سويد؛ قالا: ثنا الأوزاعي عن عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمير عن ابن عباس به.

قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط الشيخين».

ووافقه الذهبي.

وقال البيهقي: «جوَّد إسناده بشر بن بكر، وهو من الثقات».

وقال العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤٥): «ويروىٰ من غير هذا الوجه بإسناد جيد».

قلت: يشير إلىٰ هذه الطريق؛ لأنه أخرجه من الطريق الأولىٰ.

وحسنه الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/ ٢٨١).

وصححه الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «الإحكام في أصول الأحكام» (٥/ ١٤٩)، وشيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إرواء الغليل» (٨٢).

قلت: وهو صحيح كما قالوا؛ فإن رجاله ثقات، لا مطعن فيهم.

وقد أعله أبو حاتم بالانقطاع أيضًا، فقال ابنه في «علل الحديث» (١/ ٤٣١): «وقال أبي: لم يسمع الأوزاعي هذا الحديث عن عطاء، إنه سمع من رجل لم يسمه، أتوهم أنه عبد الله بن عامر، أو إسماعيل بن مسلم، ولا يصح هذا الحديث، ولا يثبت إسناده».

قلت: لا يجوز رد حديث الثقة -ولاسيما إذا كان كالأوزاعي- بمجرد توهم، ولم يعهد عليه تدليس، ولذلك؛ فنحن علىٰ الأصل، وهو صحة حديث الثقة حتىٰ يتبين انقطاعه، ولاسيما أنه ورد من طرق أخرىٰ عن ابن عباس.

وروي أيضًا عن جماعة من الصحابة، منهم: أبو ذر، وابن عمر، وأبو بكرة، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وعمران بن حصين، وثوبان، وانظرها في «نصب الراية» للزيلعي (٤/ ٦٤-٦٦)، و«التلخيص الحبير» (١/ ٢٨١-٢٨٣)، وهي لا تخلو من مقال؛ لكن بعضها يقوي بعضًا؛ كما قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٣٧١)، ومجموع هذه الطرق يظهر أن للحديث أصلًا.

وساق له شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إرواء الغليل» (١/ ١٢٤)، شاهدًا من «صحيح مسلم»؛ فانظره.

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الحديث التاسع عشر.

*** غريب الحديث:**

تجاوز: عفا.

الخطأ: فعل الشيء من غير قصد.

النسيان: ذهول القلب عن شيء معلوم.

الاستكراه: إلجاء الإنسان بدون اختيار له بالكلية، ولا قدرة علىٰ الامتناع إلىٰ فعل ما لا يريده.

*** موضوع الحديث:**

حكم الخطأ والنسيان والإكراه.

*** الشرح الإجمالي:**

بيَّن رسول الله ﷺ: أن الله ﷻ تجاوز عن أمته: الخطأ، والنسيان، والاستكراه.

وقد دلَّ القرآن الكريم على مفرداتها:

فأما الخطأ؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

وأما النسيان؛ فقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأما الاستكراه؛ فقال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦].

وهذا دليل علىٰ سعة رحمة الله، وأنه يَعْلَمُ ضعف عباده؛ فلا يؤاخذهم في هذه الحالات.

*** فقه الحديث:**

١- كرم الله ﷻ وعظيم عفوه، حيث تجاوز عن هذه الأمور، ولطف بعباده في هذه الحالات.

٢- هذا الأمر من خصائص أمة محمد ﷺ، مما يدل علىٰ خيريتها وفضلها

علىٰ العالمين.

٣- الحديث تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

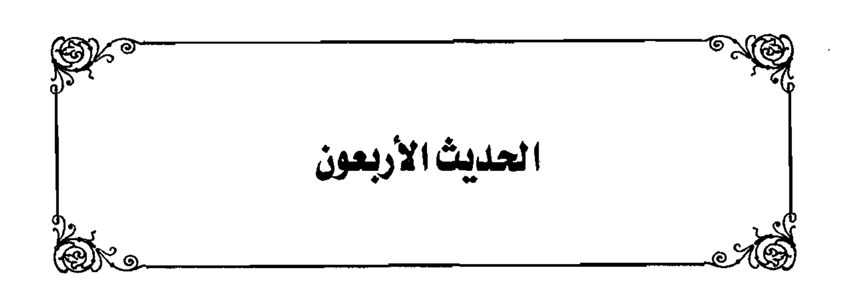
٤- دليل علىٰ التفرقة بين الخطأ والنسيان:

الخطأ: أن يعمل شيئًا؛ فيحصل غير ما قصد.

والنسيان: أن يكون ذاكرًا الشيء؛ فينساه عند الفعل.

٥- يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، وأنها جاءت بدفع العسر، ورفع الحرج، ووضع الإصر والأغلال التي كانت علىٰ الأمم السابقة.





الحديث الأربعون

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِيَّ؛ فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٣-فتح).

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الحديث الثاني.

*** غريب الحديث:**

أخذ: أمسك.

بمنكبي: مجتمع رأس العضد والكتف؛ لأنه يعتمد عليه.

إذا أمسيت: دخلت في المساء.

وإذا أصبحت: دخلت في الصباح.

* موضوع الحديث:

قصر الأمر في الدنيا.

* المعنىٰ الإجمالي:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في «رياض الصالحين»: «قالوا في شرح هذا الحديث: معناه: لا تركن إلىٰ الدنيا ولا تتخذها وطنًا، ولا تُحدِّث نفسك بطول البقاء فيها، ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها إلا بما يتعلقُ به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلىٰ أهله، وبالله التوفيق».

* فقه الحديث:

١- أخذ النبي بمنكبي عبد الله بن عمر دليل علىٰ محبته له وتنبيهه إلىٰ أهمية ما يقوله له، وفيه جواز مس المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم والموعظة، وذلك للتأنيس والتنبيه.

٢- حرص النبيﷺ علىٰ إيصال الخير لأمته.

٣- الحض علىٰ الزهد في الدنيا، والاقتصار علىٰ ما لابد منه، ومن أراد ذلك كان كعابر السبيل فإنه لا يتزود إلا بقوته، ويتخفف من الأحمال والأثقال التي تعيق سيره وتقطع سفره إلىٰ مقصده.

٤- المؤمن في الدنيا غريب؛ لأن الجنة هي موطنه الأول أخرجه منه عدوه وسباه؛ فهو يتزود بما يبلغه المحل الأعلىٰ.

ولابن قيم الجوزية أبيات في هذا المعنىٰ:

وحيَّ علىٰ جنات عدن فإنها ... منازلك الأولىٰ وفيها المخيمُ

ولكننا سبيُ العدو فهل ترىٰ ... نعود إلىٰ أوطاننا ونسلمُ

وأي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تحكَّمُ

وقد زعموا أن الغريب إذا نأىٰ ... وشطت به أوطانه ليس ينعمُ

فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة ... من العمر إلا بعدما يتألمُ

٥- المبادرة إلىٰ عمل كلِّ شيء في وقته.

٦- الحث علىٰ اغتنام الفرص للمزيد من الطاعة وعدم التباطؤ فيها.

٧- الصحة والحياة فرصة للمؤمن يجب أن يستفيد منهما بأعمال الخير؛ فلا ينبغي له أن يفرط فيهما فيما لا ينفعه في آخرته.

٨- الحديث يضبط تعامل المؤمن مع الدنيا.

٩- الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا.

١٠- الحديث لا يدل علىٰ ترك طلب المعاش والتلذذ بالمباحات، فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ.

١١- النصيحة تبذل -أحيانًا- بدون سؤال وطلب؛ كما فعل رسول الله ﷺ مع ابن عمر رضي الله عنهما.

١٢- من لوازم الغربة للرجل الغريب ما يلي:

أ- عدم الاستقرار في البلد الذي يمر عليه، وكذلك المؤمن لا يستقر في الدنيا.

ب- رضاؤه بالقليل من المتاع، وهذا هو حال المؤمن التقي مع متاع الدنيا فيرضىٰ بالقليل منه.

ت- الغريب لا ينافس أهل البلد في دنياهم وبنائهم وأموالهم وشئونهم؛ لأن همته متعلقة بما أمامه من طريق؛ وكذلك المؤمن لا ينافس الناس في دنياهم، بل همه معلق بالآخرة والاستعداد لما أمامه.

ث- استعداده للسفر في أي لحظة أو ساعة، وكذلك أيضًا المؤمن مستعد للقاء ربه متىٰ شاء الله سبحانه.

ج- الغريب لا يأسف ويحزن لفوات شيء من دنيا الناس في ذلك البلد؛ لأنها لا تعنيه ولا تغنيه، وكذلك المؤمن لا يأسف ويحزن لفوات شيء من أمور الدنيا حزنًا يقطعه عن عمله وآخرته.

ح- الغريب لا يطمئن ويرتاح حتىٰ تنقطع غربته بالوصول إلىٰ وطنه، وتحقيق ما يريده، والمؤمن لا يرتاح ولا يطمئن حتىٰ يوصله الله بفضله إلىٰ كرامته.

خ- الغريب يجعل إقامته في ذلك البلد عونًا له علىٰ قطع سفره، فيتزود فيه من الماء والطعام والراحة؛ ليواصل سيره، وكذلك المؤمن.

١٣- وصف الغربة في الحديث يدل علىٰ أمرين:

الأول: ينفي العجب والكبر والبطر والفخر؛ لأن الغريب يجب أن يكون أديبًا.

الثاني: يوحي اللفظ بالمسكنة والتواضع.

وكلا الأمرين يجب أن يتحلىٰ بهما المؤمن، فينفي الكبر والبطر والفخر، ويلبس لباس العبودية والفقر والذلة لله ﷻ.

١٤- قوله: «**غريب أو عابر سبيل**». يشتركان في عدم الاستقرار والاستيطان والاستعداد للرحيل.

١٥- الحديث يربي المؤمن علىٰ التطلع للآخرة والنظر والاستعداد لها.

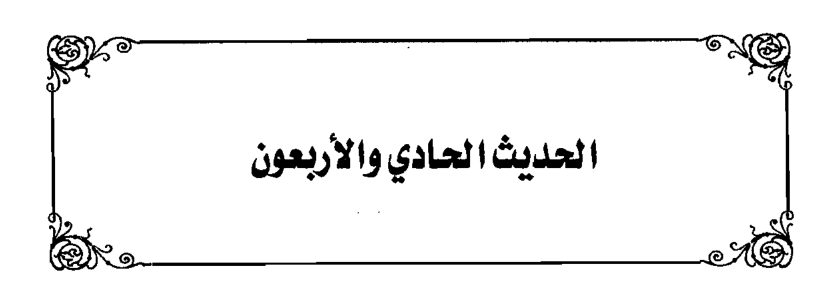
١٦- يبين الحديث مدة الدنيا بالنسبة للآخرة، وأنها كإقامة غريب في غربته مقارنة باستيطانه في بلده، أو استراحة عابر سبيل مقارنة بمدة إقامته عند أهله.

وصدق من قال:

مَقَامَاتُ الغَرِيبِ بِكُلِّ أَرْضٍ ... كَبُنْيَانٍ أُسِّسَ عَلَىٰ الرِّيَاحِ

١٧- يدلُّ الحديث بمفهومه علىٰ خسارة من باع دنياه بدينه؛ لأنه باع فانيًا زائلًا بباقٍ دائمٍ.

١٨- **قول ابن عمر** رضي الله عنهما: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء». تفسير لحديث الباب، وتطبيق عملي للحديث.



الحديث الحادي والأربعون

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِهِ**». حديثٌ صحيحٌ: رَوَيْنَاهُ فِي «كتاب الْحُجَّة» بإسنادٍ صحيح.

*** توثيق الحديث:**

أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٢-٢١٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٩) وغيرهم.

وهو حديث ضعيف؛ لأن نعيم بن حماد ضعيف؛ لكثرة خطئه، وقد اتهمه بعضهم، وقد ذكر له الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ عللًا كثيرة في «جامع العلوم والحكم»، وقال: «تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه». (ثم ذكرها).

وضعفه كذلك شيخنا الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (١٥)، وأقر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*** راوي الحديث:**

عبد الله بن عمرو بن العاص، قرشي سهمي، هاجر هو وأبوه قبل الفتح، وكان قد أسلم قبل أبيه.

كان ﷺ مجتهدًا في العبادة، وهو أكثر الصحابة ﷺ حملًا عن رسول الله ﷺ؛ ولكن أبا هريرة أكثر رواية منه؛ لأن أبا هريرة تصدىٰ للرواية، وعبد الله غلبت عليه العبادة.

توفي ليالي الحرة آخر ذي الحجة سنة (٦٣هـ).

*** غريب الحديث:**

لا يؤمن: إيمانًا كاملًا.

حتىٰ يكون هواه: ميله وإرادته.

تبعًا لما جئت به: لما جاء به من الشرع: فلا يلتفت إلىٰ غيره.

موضوع الحديث:

وجوب الانقياد لما جاء به محمد ﷺ.

الشرح الإجمالي:

يخبر الرسول ﷺ أن العبد لا يكون إيمانه كاملًا حتىٰ يكون ميله وإرادته تابعًا لما جاء به الشرع المبين، ومنقادًا لهدي خير المرسلين.

فقه الحديث:

١- المؤمن يتخلىٰ عن هواه المخالف لشريعة الله.

٢- من جعل هواه يتبع كتاب الله وسنة رسوله؛ فقد استكمل الإيمان.

٣- طاعة الهوىٰ تصرف عن الهدىٰ.

٤- دل هذا الحديث علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص.

٥- هذا الحديث يربي نفس المؤمن علىٰ ما يلي:

أ- مجاهدة النفس حتىٰ تتبع الشرع وتقنع بالدليل.

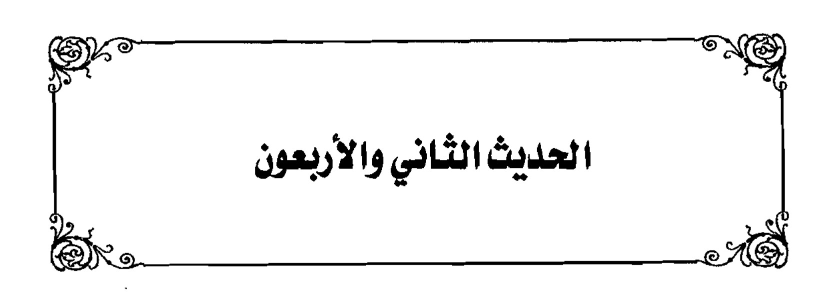
ب- محاسبة النفس ومراقبتها وحملها علىٰ طاعة الله ورسوله.

ت- الاستسلام لأمر الله ورسوله سواء وافق الهوىٰ أم خالفه.

ث- محبة أوامر الله وتعظيم حرماته.

ج- طلب الدليل، فإن صحَّ عمل به، ولو كانت نفسه تنازعه وهواه يمانعه.





الحديث الثاني والأربعون

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَك وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

* **توثيق الحديث:**

أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من طريق كثير بن فائد: أخبرنا سعيد بن عبيد قال: سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول: أخبرنا أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (فذكره).

وقال الترمذي: «حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن كثير بن فائد مقبول؛ أي: عند المتابعة.

وللحديث شاهد من حديث أبي ذر:

أخرجه أحمد (٥/ ١٧٢)، والدارمي (٢/ ٣٢٢)، من طريق غيلان، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن معديكرب عنه به.

وخالفه عبد الحميد بن بهرام، فقال: ثنا شهر، حدثني ابن غنم: أن أبا ذر حدثه به.

أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤).

وشهر؛ فيه ضعف من قِبَلِ حفظه.

والوجه الأول أصح؛ لأن غيلان أوثق من ابن بهرام، لأن غيلان توبع عليه؛ فقد تابعه عامر الأحول، عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معديكرب، عن أبي ذر به.

أخرجه أحمد (٥/ ١٧٤).

وعامر الأحول هو عبد الواحد البصري، صدوق يخطئ.

وله طريق آخر مختصر عن أبي ذر:

أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤١)، وأحمد (٥/ ١٠٨) من طريق عاصم، عن المعرور بن سويد: أن أبا ذر ﷺ؛ قال: حدثنا الصادق المصدوق ﷺ فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالىٰ- أنه قال: «**الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد، والسيئة واحدة أو أغفرها، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي؛ لقيتك بقرابها مغفرة**».

قلت: هذا إسناد رجاله ثقات، غير عاصم؛ وهو ابن بهدلة، وهو صدوق؛ فالإسناد حسن.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح بشواهده، والله أعلم.

*** راوي الحديث:**

تقدمت ترجمة أنس بن مالك ﷺ في الحديث الثالث عشر.

*** غريب الحديث:**

إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك: متىٰ دعوتني ورجوتني غفرت لك.

دعوتني: سألتني أن أغفر لك.

رجوتني: رجوت مغفرتي ولم تيأس.

غفرت لك: سترت ذنبك وتجاوزت عنك.

علىٰ ما كان منك: علىٰ ما كان منك من معاصٍ، ويدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

لا أبالي: لا يضرني ولا ينقص في ملكي شيئًا.

لو بلغت ذنوبك عنان السماء: يعني لو بلغت خطاياك بكثرتها السحاب، أو ما ظهر لك في السماء.

ثم استغفرتني غفرت لك: طلبت المغفرة بصدق وإخلاص وافتقار إلىٰ الله غفر الله لك.

لو أتيتني بقراب الأرض خطايا: لو جئتني بملء الأرض خطايا دون الشرك.

*** موضوع الحديث:**

الحث علىٰ التوبة وعدم اليأس من رحمة الله، وفضل التوحيد.

*** الشرح الإجمالي:**

في هذا الحديث القدسي يخاطب الله ﷻ جميع بني آدم، وأنهم:

١- إذا سألوا المغفرة ورجوا الرحمة ولم ييأسوا من روح الله؛ غفر الله لهم ذنوبهم، وستر عيوبهم، وتجاوز عنهم.

٢- لو بلغت ذنوب الإنسان ما ظهر له من السماء، وملأت الأرض لكن لقي الله لا يشرك به شيئًا غفرها الله وتجاوز عنها، وفي هذا تحريض علىٰ الإخلاص، وأنه سبب للمغفرة والرحمة والنجاة.

*** فقه الحديث:**

١- بيان سعة رحمة الله تبارك وتعالى.

٢- بيان أن الله تبارك وتعالى يحب من عباده أن يدعوه ويرجوه ويطلبوا منه المغفرة.

٣- الإيمان بالله شرط في مغفرة الذنوب؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك.

٤- إذا تاب العبد توبة نصوحًا غفر الله ذنوبه ولو كانت ملء الأرض أو بلغت السحاب.

٥- بيان فضيلة الإخلاص، وأنه سبب كل خير، وبه يدفع كلّ شرّ ومكروه.

٦- يبين الحديث بعض أسباب المغفرة، وهي:

أ- الدعاء؛ لقوله: «**ما دعوتني**».

ب- الرجاء؛ لقوله: «**ما رجوتني**».

ت- الاستغفار؛ لقوله: «**ثم استغفرتني غفرت لك**».

ث- التوحيد؛ لقوله: «**ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا**».

٧- الحديث يفتح باب الأمل للمسرف علىٰ نفسه بالمعاصي؛ لئلا يقنط من رحمة الله.

٨- الإسلام يصلح المخطئ، ويعالج المذنب، ويفتح باب التوبة.

٩- ينبغي علىٰ العبد أن يتعلق بالله في جميع أحواله وأحيانه؛ لأنه لا غنىٰ له عن مولاه طرفة عين، ولا أقلّ من ذلك.

١٠- الحديث يبين أن الإنسان خلق ضعيفًا؛ وأنه خطّاء، ولكن باب الرحمة مفتوح.

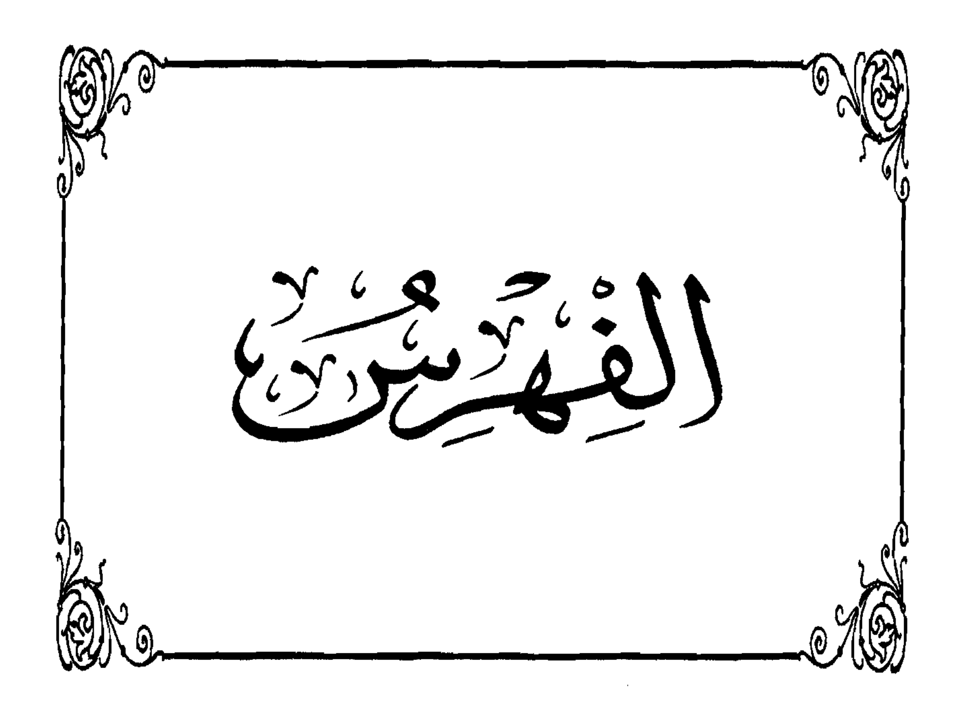
١١- الحديث يربي في نفس المسلم مكارم الأخلاق الآتية:

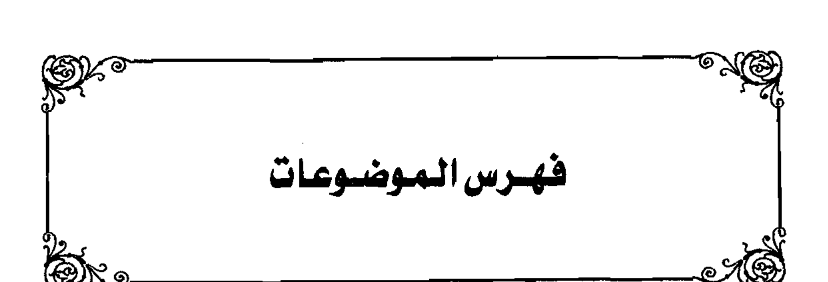
أ- جانب الحياء من الله؛ فالله سبحانه ينادي علىٰ المسرفين والمخطئين تعالوا إلىٰ رحمتي التي وسعت كلّ شيء، وعمّت كلّ حيٍّ، وهم مع ذلك يذنبون ويخطئون، وهو سبحانه لا يغلق بابه في وجوههم، ولا يردهم إذا حلّوا نادمين في رحابه، ولا شك أن هذا يورث العبد الحياء من الله ﷻ.

ب- حسن الظن بالله، والله عند ظن العبد به.

ت- يقوي جانب الرجاء بالله؛ فلا يقنط من رحمته، ولا ييأس من رَوحه.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


الفهرس



فهرس الموضوعات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com